جوانب الغلو والتكفير في الفكر السلفي المعاصر

إعداد

د. علي محمد حسن علي

مدرس العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

من ١٧ إلى ٩٠

Aspects of Exaggeration and Takfir in Contemporary Salafi Thought

Dr/Ali Muhammad Hassan Ali
Lectuer of Department of Islamic Theology and Philosophy,
Faculty of 'Usul Ad-Din and Da`wah in Zaqazig
، Al-Azhar University

جوانب الغلو والتكفير في الفكر السلفي المعاصر

علي محمد حسن علي
قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق جامعة الأزهر
البريد الإلكتروني: dralielazhry@azhar.edu.eg

الملخص:
هدفت الدراسة لبيان جوانب الغلو والتكفير في الفكر السلفي المعاصر، وبخاصة في مجال التوحيد، وقد استخدم الباحث عدة مناهج بحثية هي: المنهج التحليلي، والمنهج المقارن، والمنهج النقدي، وكان تقسيم البحث على هذا النحو:

المبحث الأول: وجاء بعنوان (التعريف بأهم المصطلحات الواردة بالبحث وهي: الغلو، التكفير، السلف)، وتضمن التعريف بها لغويًا واصطلاحيًا، والآيات والأحاديث الدالة على التحذير من الغلو، والتكفير، ثم بيان معنى مصطلح السلف وكونه يطلق فقط على أهل القرون الثلاثة المتقدمة كما نص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك.

المبحث الثاني: وهو بعنوان (تكفير من سمى التوحيد اعتقادًا، ومن لم يقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام (عرض ونقد)، وهذا المبحث جاء مشتملًا على تقسيم التوحيد لثلاثة أقسام هي: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وقد زعم من قسموا التوحيد لهذه الأقسام أن المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وأيضًا فضلوا المشركين على كثير من المسلمين في زماننا المعاصر، وفيه أيضًا ظهور نوع جديد من التوحيد يُسمى بتوحيد الحاكمية، وقد تضمن هذا المبحث عرض التقسيم على القرآن الكريم، وبيان المراد من الآيات التي تُوهم إقرار المشركين بتوحيد الربوبية، ثم بيان معتقد الأشاعرة في قضية التوحيد، ومناقشة أصحاب هذه الدعوى مناقشة موضوعية بعيدة عن التعصب، وبيان تناقض من قالوا بإقرار المشركين بتوحيد الربوبية، ثم خاتمة البحث، وفيها: أبرز أهم التوصيات والمقترحات، وأهم النتائج التي توصل إليها الباحث، ثم قائمة المراجع.

الكلمات المفتاحية: الغلو، التكفير، السلف، العقيدة، التوحيد.

Aspects of Exaggeration and Takfir in Contemporary Salafi Thought

Ali Muhammad Hassan Ali
Department of Islamic Theology and Philosophy,
Faculty of 'Usul Ad-Din and Da`wah in Zaqazig، Al-Azhar University
Email:dralielazhry@azhar.edu.eg

Abstract:
The study aims at illustrating the aspects of exaggeration and Takfir in contemporary Salafi thought, especially in the field of monotheism. The researcher used several research methods: the analytical approach, the comparative approach, and the critical approach. The research division is as follows:
The first subject of research is entitled (*definition of the most important terms mentioned in the research i.e. Exaggeration, Takfir, and Sala*f). It included the definition of these terms linguistically and idiomatically, Qur'anic verses and Prophetic Haidths that warn about exaggeration and Takfir, and illustrating the meaning of the term "Salaf" and that it only refers to the people of the first three centuries after Hijra, as mentioned in the prophetic hadith.
The second subject of research is entitled (*Takfir of those who confined monotheism to belief and those who do not divide monotheism into three sections (a discussion and criticism*). This part includes dividing monotheism into three sections: the oneness of the Lord, Unity of Worship, and names and attributes of God. Those who believe in this division claimed that polytheists believed in the oneness of the Lord. They also preferred polytheists to many contemporary Muslims. This second subject also includes the emergence of a new type of monotheism called "Al Hakemeya" i.e. the Dominion of Allah. It also includes discussing the above-mentioned division in the light of the Holy Qur'an and illustrating what is meant by the verses that give the impression that polytheists believe in the oneness of the Lord. Then, it illustrates the Ash`ari's belief in regard to monotheism and discussing them objectively without Sectarianism. Clarifying the contradiction of those who say that polytheists believe in the oneness of the Lord is also included. Finally comes the conclusion of the research, including the most important recommendations and proposals, the most important conclusions of the researcher, and bibliography.

Key words: Exaggeration, Takfir, Salaf, Creed, Monotheism.

بسم الله الرحمن الرحيم

اَلْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ، أَرْسَلَ رَسُوْلَهُ رَحْمَةً للْعَالَمِيْنَ، فَأَقَامَ بِهِ الدِّيْنَ، وَقَمَعَ بِهِ الْمَارِقِيْنَ، فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَى آَلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِيْنَ.

أَمَّا بـــــــــــــعْدُ

فإن الله تعالى قد جعل أمة الإسلام أمة وسطًا فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة:١٤٣)، فلا إفراط ولا تفريط، ومن ثمَّ فإن الغلو والتسرع في تكفير الآخرين أمر جلل، به تُستباح الأعراض، وتُنهبُ الأموال، وتُكفر المجتمعات، كل هذه آفات تترتب على الغلو، وذلك لأن الغلو طريق ممهد لتكفير الغير، به تحكم على الآخر بالخروج من الملة، ولقد حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدخول في هذا الموج المتلاطم، ففي الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام مسلم رحمه الله تعالى عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا كَفَّرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا"، والمعنى هنا: أن المراد بالكفر تكفير الآخر.

وقد جاء التحذير النبوي من عدم الغلو كما في الحديث الذي أخرجه النسائي، وابن ماجه، وابن حبان وغيرهم، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ".

ومن الغريب أنه برغم التحذير النبوي من عدم الغلو والجنوح إلى أسبابه إلا أن فريقًا كأنه نصب نفسه حاكمًا على المسلمين، فأخرجوهم تارة من الدين، وحكموا عليهم بالشرك الأكبر، وزعم أحدهم أن التوحيد لا يُسمى اعتقادًا، ومن سماه هكذا كان مشركًا، ثم قاموا بعمل مقارنة بين المسلمين وبين مشركي قريش؛ حتى أقروا بأن أبا جهل وأبا لهب ومن كان معهما من صناديد قريش كانوا أقرب إلى التوحيد من كثير من المسلمين؛ إذ كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، بخلاف الكثير ممن ينتسبون إلى الإسلام حاليًا.

نعلم أن التوحيد هو إخلاص العبادة لله وحده، وإفراده بالعبادة والطاعة، لكن عند هذه المدرسة يُمثلُ ثلاثة أقسام من التوحيد هي:

القسم الأول: توحيد الربوبية.

القسم الثاني: توحيد الألوهية.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات.

وهذا التقسيم لم نقرأه في القرآن الكريم، ولا جاءت به السنة النبوية، ولا قال به الصحابة، ولا من تبعهم من التابعين وتابعيهم أهل القرون الثلاثة المنصوص عليهم في السنة النبوية.

ومع هذا الخلط العجيب لم يقبلوا نصحًا ولا إرشادًا فحملوا على غيرهم الشرك وفضلوا مشركي قريش عليهم، بل ظهر تقسيم رباعي جديد للتوحيد عند طائفة من تلاميذ هذه المدرسة السلفية المعاصرة، فدافعوا عنه، وألفوا فيه كتبًا تحمل اسم هذا التقسيم الجديد، ويرمون غيرهم بالغلو والتشدد، وَأَقْسَمُواْ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ عَلَى حَقٍّ، وَمَا خَلَاهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ، من أجل ذلك رأيت من واجبي بصفتي أحد أبناء الأزهر الشريف أن أكتب في هذا الموضوع، ولقد راعيت التجرد التام دون تعصب، فسُقْتُ النصوص المجردة لشيوخ هذه المدرسة، ثم أوردت الشروح لتلاميذهم دون تصريف في بنية النص، ثم عقبت بالأدلة الصحيحة من القرآن والسنة، وجملة من نصوص أتباع هذه المدرسة تدل على تناقضهم في فهم النصوص.

المَنْهَجُ المُسْتَخْدَمُ :

١ـ المَنْهَجُ التَّحْلِيلِيُّ : هُو يَقومُ علىَ إرجَاعِ الكُلِ إلَى أَجزَائـهِ[1]، هو الانتباه إلى معنى التصور؛ ثم تقسيم التصور إلى أجزائه، ثم التمييز بين التصورات [2]، وَقامَ البَاحِثُ فِيهِ بتَحْلِيلِ النُّصُوصِ المُخْتَارَةِ تَحْلِيلًا مَوضُوعِيًّا مِن خِلَالِ الأُصُولِ الَّتِي تَقُومُ عَلَيهَا آراء هذه المدرسة.

٢ ـ المَنْهَجُ النَّقْدِيُّ : وهُوَ مَوقِفٌ مَعْرِفِيٌّ قَائمٌ عَلَى أَخْذِ وقَبُولِ مَا هُوَ صَوَابٌ فِي الرَّأْي، وردِّ ورَفْضِ مَا هُوَ خَطَأٌ فِيهِ[3]، ويَسْتَخْدِمُهُ البَاحِثُ لِتَوجِيهِ

---

(١) المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية)، د. جميل صليبا (المتوفى: ١٩٧٦م)، ١/٢٥٤.

(٢) مناهج البحث الفلسفي، د. محمود زيدان، صـ ٩١.

(٣) مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي دراسة نقدية في ضوء الإسلام، د. عبدالرحمن بن زيد الزبيدي، ص ٣١.

بَعْضِ الانْتِقَادَاتِ لِمَوضُوعِ الدِّرَاسَةِ أَو شَخْصِيَّاتِ الدِّرَاسَةِ بِقَدْرِ مَا يَتَوَصَّلُ إِلَيهِ البَحْثُ، والرد مِنْ خِلالِ النصوص الصحيحة، ورفضِ الأفكار المغلوطةِ.

٣ ـ المَنْهَجُ المُقَارِنُ: وبِهِ يَتِمُّ المُقَارَنَةُ بَينَ الأَقْوَالِ والآرَاءِ[١]، ويُسْتَخْدَمُ فِي مُنَاقَشَةِ أَقْوَالِ هذه المدرسةِ والعملِ على مقارنتها بالآراء الأخرى، التي تقرر ذات الأمر.

أَمَّا الفُرُوضُ المُوجَّهَةُ الَّتِي تُحَاوِلُ مَبَاحَثُ البحث الإِجَابَةَ عَنْهَا:

لماذا البحث قد تضمن إيضاح جوانب الغلو؟

ما تعريف الغلو؟

ما المراد من مصطلح الكفر؟

ما المقصود بمصطلح السلف؟

ما موقف المدرسة السلفية المعاصرة من التوحيد؟

ما موقف علماء المدرسة السلفية من التوحيد الصحيح؟

ما المغالطات التي وقعت فيها المدرسة السلفية المعاصرة؟

وغيرها من الفروض التي تمت الإجابة عليها من خلال مباحث البحث.

تقسيم البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يُقسم إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة.

المقدمة: اشتملت على أهمية البحث، والمنهج المستخدم.

المبحث الأول: التعريف بأهم المصطلحات الواردة بالبحث.

المبحث الثاني: تكفير من سمى التوحيد اعتقادًا، ومن لم يقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام (عرض ونقد).

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

---

(١) مناهج وأساليب البحث العلمي النظرية والتطبيق، د. يحيى مصطفى عليان، د. عثمان محمد غنيم، ص ٥٦.

المبحث الأول

التعريف بأهم المصطلحات الواردة بالبحث (الغلو، التكفير، السلفية)

المصطلح الأول: الغلو:

الغلو لغة: اتفقت معاجم اللغة على أن الغلو: "الارتفاع؛ ومجاوزة القدر في كل شيء، والتصلب، والتشدد، يقال: وغلا في الدين غُلوًا من باب: قعد، وتصلب، وأفرط، وتشدد، حتى جاوز الحد، وفي التنزيل العزيز، قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾(١)، وغالى في أمره مغالاة بالغ، والغلو بمعنى الزيادة، ومجاوزة الحد"(٢).

وعلى هذا فإن الغلو لا يخرج عن هذه المعاني: مجاوزة الحد، والتشدد، والتصلب في الرأي، والمبالغة، والإفراط.

الغلو في الاصطلاح:

معنى الغلو في الاصطلاح لا يكاد يخرج عن معناه في اللغة، فتعريفه في الاصطلاح أيضًا يدور حول التشدد، ومجاوزة الحد، والمبالغة في الشيء.

عرفه الإمام أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت: ٣٧٠هـ)، فقال: "الغلو في الدين: مجاوزة حدِّ الحق فيه"(٣).

وعرفه الإمام ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ) فقال: "الغلو: المبالغة في الشيء، والتشديد فيه بتجاوز الحد"(٤).

وردت كلمة الغلو في القرآن الكريم في موضعين هما:

---

(١) سورة النساء: آية ١٧١.

(٢) راجع لسان العرب، ابن منظور، ١٥/١٣١-١٣٢ مادة (غلا)، مختار الصحاح، الرازي، ص ٢٢٩ مادة (غلا)، المصباح المنير، الفيومي، ٢/ ٤٥٢ مادة (غلا)، القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص ١٣١٨، تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي، ٣٩/١٧٨ مادة (غلو)، التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص ٢٥٣، تهذيب اللغة، الأزهري، ٨/١٦٨، مجمل اللغة، ابن فارس، ١/٦٨٣، الإبانة في اللغة العربية، سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري، ٣/٦٠٨-٦٠٩، البارع في اللغة، القالي، ص ٣٩٣، المعجم الوسيط، مجموعة مؤلفين، ٢/٦٦٠ مادة (غلا).

(٣) أحكام القرآن، أبو بكر الجصاص، ٣/٢٨٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٣/٢٧٨.

الموضع الأول: تحذير الله تعالى لأهل الكتاب بعدم الغلو، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾[١].

الموضع الثاني: أمر من الله تعالى لنبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأن يخبر أهل الكتاب بضرورة عدم الغلو، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[٢].

وجاء لفظ الغلو صراحة في السنة في الحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ ابْنُ عَبَّاس: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ: «هَاتِ، الْقُطْ لِي» فَلَقَطْتُ لَهُ حَصَيَاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ، فَلَمَّا وَضَعْتُهُنَّ فِي يَدِهِ، قَالَ: «بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ»"[٣].

والغلو في الدين آفة خطيرة، وباب للشر، وطريق للضلال كما حذر الله تعالى أهل الكتاب في الآيتين السابقتين، والغلو يقوم على اتباع الهوى، وعلى التعصب المقيت للرأي، ولذا قال الإمام فخر الدين الرازي[٤]: "والغلو نقيض التقصير. ومعناه الخروج عن الحد، وذلك لأن الحق بين طرفي الإفراط والتفريط، ودين الله بين الغلو والتقصير .

وقوله ﴿غير الحق﴾ صفة المصدر، أي: لا تغلوا في دينكم غلوًا غير الحق، أي غلوًا باطلًا، لأن الغلو في الدين نوعان: غلو حق، وهو أن يبالغ

---

(١) سورة النساء: آية ١٧١.

(٢) سورة المائدة: آية ٧٧.

(٣) أخرجه النسائي في سننه، كتاب المناسك، باب التقاط الحصى، ج ٥، ص ٢٦٨، حديث رقم ٣٠٥٧، وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب المناسك، باب قدر رمي الحصى، ج ٢، ص ١٠٠٨، حديث رقم ٣٠٢٩، وأخرجه ابن حبان في سننه، كتاب الحج، باب رمي جمرة العقبة، ج ٩، ص ١٨٣، حديث رقم ٣٨٧١، وقال عنه الشيخ شعيب الأرنؤوط: صحيح على شرط الإمام مسلم، هامش صحيح ابن حبان، صفحة ١٨٣.

(٤) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، المتوفى: ٦٠٦هـــ رحمه الله تعالى.

في تقريره وتأكيده، وغلو باطل وهو أن يتكلف في تقرير الشبه، وإخفاء الدلائل"[١].

ويقرر الإمام (الشوكاني ت:١٢٥٠هـ رحمه الله تعالى) حقيقة ثابتة عن التعصب لرأي أو لمذهب بعينه، قد يؤدي هذا التعصب لفتن عجاف؛ ربما يصل الأمر لسفك الدماء، واستحلال الأموال، والأعراض، ولذلك قال: "واعلم أنه كما يتسبب عن التعصب محق بركة العلم، وذهاب رونقه، وزوال ما يترتب عليه من الثواب، كذلك يترتب عليه من الفتن المفضية إلى سفك الدماء، وهتك الحرم، وتمزيق الأعراض، واستحلال ما هو في عصمة الشرع ما لا يخفى على عاقل، ولا يخلو عصر من العصور، ولا قطر من الأقطار من وُقُوع ذَلك؛ لَا سِيمَا إِذا اجْتمع فِي الْمَدِينَة والقرية مذهبان أو أَكثر، وَقد يَقع من ذَلك مَا يُفْضِي إِلَى إحراق الديار، وَقتل النِّسَاء، وَالصبيان، .. وهذا يعرفه كل من له خبرة بأحوال الناس"[٢].

وعلى هذا فإن الغلو يشمل كل ما يتعلق بالدين وأركانه، وهو مجاوزة الحد والشطط في كل أمر من أمور الدين.

المصطلح الثاني: التكفير

أولًا: الكفر لغة:

جاءت لفظة الكفر في المعاجم اللغوية بمعنى التغطية، والجحود، والزرع، والستر، قال: "ابن منظور (ت:٧١١هـ)": (وأَصل الْكُفْر تَغْطِيَةُ الشَّيْءِ،...وكَفَّرَ الرجلَ: نَسَبَهُ إِلى الْكُفْر. وكُل مَنْ سَتَرَ شَيْئًا، فَقَدَ كَفَرَه وكَفَّره. وَالْكَافِرُ الزرَّاعُ لسَتْرِهِ الْبَذْرَ بالتُّرَاب. والكُفَّارُ: الزُّرَّاعُ. وَتَقُولُ الْعَرَبُ للزَّرَّاعِ: كَافِرٌ؛ لأَنه يَكْفُرُ البَذْر المَبْذورَ بتُرَابِ الأَرض المُثارة، وَمِنْهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَباتُهُ﴾[٣]، .. سُمِّيَ الْكَافِرُ كَافِرًا؛ لأَنه سَتَرَ نِعَمَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)[٤]

---

(١) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ٤١١/١٢.

(٢) أدب الطلب ومنتهى الأدب، الشوكاني، تحقيق: عبد الله يحيى السريحي، ص ٩٢.

(٣) سورة الحديد: آية ٢٠.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، ١٤٥/٥ – ١٤٧.

يقول "الرازي ت:٦٠٦هـ" : (والْكُفْرُ ضِدُّ الْإِيمَان، وَجَمْعُ (الْكَافِر) (كُفَّارٌ) وَ (كَفَرَةٌ) وَ (كِفَارٌ)، وَجَمْعُ الْكَافِرَةِ (كَوَافِرُ). وَ (الْكُفْرُ) أَيْضًا جُحُودُ النِّعْمَةِ وَهُوَ ضِدُّ الشُّكْرِ، وَقَدْ كَفَرَهُ مِنْ بَاب دَخَلَ، وَكُفْرَانًا أَيْضًا بِالضَّمِّ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ﴾(١)، أَيْ جَاحِدُونَ(٢). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾(٣).

ثانيًا : الكفر اصطلاحًا :

عرَّف "ابن حزم الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)" الكافر، فقال ما نصه :(جحد الربوبية وَجحد نبوة نَبِي من الْأَنْبِيَاء صحت نبوته فِي الْقُرْآن، أَو جحد شَيْء مِمَّا أَتَى بِهِ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، مَّا صَحَّ عِنْد جاحده بِنَقْل الكافة أَو عمل شَيْء قَامَ الْبُرْهَان بِأَن الْعَمَل بِهِ كفر ..)(٤).

وقال "الراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)" :(الكافر على الإطلاق متعارف فيمن يجحد الوحدانيّة، أو النّبوّة، أو الشريعة، أو ثلاثتها)(٥).

ومعنى الكفر عند الإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ): "التكذيب بشيء مما جاء به الرسول، نظرًا إلى أنَّ الإيمان عنده هو التصديق بالقلب"(٦).

ويمكن القول: إن ثمة علاقة بين التعريف اللغوي للكفر والتعريف الاصطلاحي، ذلك أن الكافر لما دُعي إلى الإيمان جحد، وغطى قلبه بالكفر، يقول "الأزهري ت:٣٧٠هـ" : (وَذَلِكَ أَنّ الكافرَ لمّا دَعَاهُ الله جلّ وعزّ إِلَى توحيدِه فقد دَعَاهُ إِلَى نعمةٍ يُنعِم بهَا عَلَيْهِ إِذا قَبِلها، فلمَّا رَدَّ مَا دَعَاهُ إِلَيْهِ من توحيده كَانَ كَافِرًا نعمةَ الله أَي مُغَطِّيًا لَهَا بِإِبائِه حاجبًا لَهَا عَنهُ)(٧)، وعلى

(١) سورة القصص: آية ٤٨.
(٢) مختار الصحاح، الرازي، ص ٢٧١.
(٣) سورة الإسراء: آية ٩٩.
(٤) الفِصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ١١٨/٣.
(٥) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٧١٤-٧١٥.
(6) انظر الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي، ص ١٢٠.
(٧) تهذيب اللغة، الأزهري، ١١٢/١٠.

ذلك يمكن تعريف الكافر بأنه من جحد الإيمان بالله أو الملائكة أو الكتب المنزلة على الرسل أو الرسل، أو جحد اليوم الآخر.

ورود لفظة (الكفر) في القرآن الكريم:

تعددت استعمالات لفظ الكفر في القرآن الكريم، فجاءت اللفظة في أكثر من خمسمائة مرة في القرآن، بمعان مختلفة، منها جحود الوحدانية أو الشريعة، أو جحود الرسالة، فجاءت لفظة الكفر في الاستعمال القرآني بتصريفاتها:

*تارة بلفظ كفر كما في قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾(١)، والمعنى أن اللَّه جعل إتيان السحر كفرًا فبرَّأَهُ الله من السحر.

*وتارة بلفظة كفرت، قال تعالى: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾(٢)، والمعنى إني جحدت شرككم بالله أو أن أكون شريكًا لله(٣).

*وتارة تكون لفظة الكفر بفعل مسند إلى ضمير الجمع كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾(٤)، والمعنى قد أظهرتم الكفر بعد إيمانكم(٥).

*وبلفظة الكافرين قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾(٦)، والمعنى هنا الجحود والإنكار.

*وتارة تأتي بلفظة كفور، صيغة مبالغة لشدة الكفر أو لكثرة تكراره، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾(٧)، أي (كَفُورٌ) لِلنِّعَمِ جَاحِدٌ لها(٨).

---

(١) سورة البقرة: آية ١٠٢.

(٢) سورة إبراهيم: آية ٢٢.

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، ص ٥٨١.

(٤) سورة التوبة: آية ٦٦.

(٥) تفسير القرآن، السمعاني، ٣٢٤/٢.

(٦) سورة النحل: آية ٨٣.

(٧) سورة هود: آية ٩.

(٨) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١١/٩.

* وبلفظة الكفران كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾[١]، والمعنى لا ضياع لعمله ولا جحود.

* وجاءت أيضًا في القرآن بلفظة أكْفُر[٢]، قال تعالى : ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[٣]، والمعنى هنا كفر النعمة لمقابلته للشكر في الآية.

ومن مدلولات الكلمة في القرآن على سبيل المثال لا الحصر :

١ ــ كفر الجحود، ومعناه إنكار الوحدانية، أو النبوة، أو الشريعة، وهو أعظم أنواع الكفر على الإطلاق، ولذا قال : "الفيروز آبادي ت:٨١٧هــ" :(وأَعظم الكُفْر جحود الوحدانيّة أَو النبوَّة أَو الشريعة، والكافر متعارَف مطلقًا فيمن يجحد الجميع. والكُفْران فى جحود النِّعمة أَكثر استعمالًا، والكُفْر فى الدِّين، والكُفُور فيهما. ويقال فيهما: كَفَر فهو كافر،..ولمَّا كان الكفران جحود النعمة صار يستعمل فى الجحود: ﴿وَلاَ تكونوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾[٤]، أَى جاحد وساتر)[٥].

٢ ــ اعتقاد الكفر، يُقالُ كَفَرَ فلانٌ: إذا اعتقد الكفر، ويقال ذلك إذا أظهر الكفر وإن لم يعتقد، ولذلك قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ﴾[٦].

٣ ــ الكفر بالطاغوت، والمعنى: كَفَرَ فلان بالشّيطان: إذا كفر بسببه، وقد يقال ذلك إذا آمن وخالف الشّيطان[٧]، كقوله: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾[٨].

---

(١) سورة الأنبياء: آية ٩٤.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، ص ٦٠٧ وما بعدها.

(٣) سورة النمل: آية ٤٠.

(٤) سورة البقرة: آية ٤١.

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، ٣٦١/٤ – ٣٦٢.

(٦) سورة النحل: آية ١٠٦.

(٧) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٧١٦.

(٨) سورة البقرة: آية ٢٥٦.

٤ ــ كفر الملة، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(١).

٥ ــ الكافر بمعنى الزارع في القرآن، ومنه قول الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾(٢).

٦ ــ الكفر بمعنى التبرؤ، تقول كفر فلان بكذا أي تبرّأ منه، ومنه قول الله تعالى: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾(٣).

٧ ــ الكفر بمعنى عدم الإيمان، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٤).

ثم الكفر على نوعين:

النوع الأول: كفر أكبر وهو الذي يُخرجُ صاحبه من الملة، ومن صوره:

١ــ كفر التكذيب، وقد يُسمى بكفر الجحود، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٥).

٢ ــ كفر الإباء أو الاستكبار، وهذا النوع من الكفر أول من اقترفه إبليس، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾(٧)، والمعنى: "لَا شَكَّ أَنَّ إِبْلِيسَ كَانَ مَأْمُورًا بالسجودِ إِنَّمَا مَنَعَهُ مِنْ ذَلِكَ الِاسْتِكْبَارُ وَالِاسْتِعْظَامُ"(٨).

٣ ــ كفر الشك، وهذا النوع أيضًا يقوم على عداوة أهل الكفر للرسل، وتشكيك الناس في الله تعالى، وعلى عدم الإيمان بالعقيدة، كإنكار البعث، كما قال تعالى حكاية عن صاحب الجنتين: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا

---

(١) سورة المائدة: آية ٥.

(٢) سورة الحديد: آية ٢٠.

(٣) سورة إبراهيم: آية ٢٢.

(٤) سورة التغابن: آية ٢.

(٥) سورة البقرة: آية ٣٩.

(٦) سورة البقرة: آية ٣٤.

(٧) سورة الحجر: آية ٣١.

(٨) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٥/١٠.

أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا * لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾(١).

٤ــ كفر النفاق، وهذا يُعد من أشد أنواع الكفر، لاسيما وقد أعد الله تعالى للمنافقين عذابًا في الدرك الأسفل من النار، ولقد بينت سورة البقرة فضائح أهل النفاق، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾(٢).

النوع الثاني: كفر أصغر: وهو الذي لا يُخرجُ صاحبه من الملة، ولا يُخلدُ صاحبه في النار، وله صور عديدة منها:

١ــ كفر النعمة، وعدم شكرها، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾(٣)، والمعنى هنا كفران النعمة، كما قال مقاتل بن سليمان رحمه الله تعالى عند تفسير هذه الآية: "وَمَنْ كَفَرَ النعم فلم يوحد ربه عز وجل فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عن عبادة خلقه حَمِيدٌ"(٤).

٢ــ قتال المسلم، أن يقتل المسلم أخاه بغير حق، ويدل على ذلك ما جاء في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾(٥)، فلم يتصفوا بخلاف الإيمان مع اقتتالهم، ففي الحديث عَنْ زُبَيْدٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا وَائِلٍ عَنِ المُرْجِئَةِ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُاللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ)(٦)، وبهذا الحديث لا

---

(١) سورة الكهف: الآيات ٣٥-٣٨.

(٢) سورة البقرة: الآيتان ٨-٩.

(٣) سورة لقمان: آية ١٢.

(٤) تفسير مُقاتل، مقاتل بن سليمان، ٣/٤٣٤ .

(٥) سورة الحجرات: آية ٩.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، في كِتَاب الإِيمَانِ، بَاب خَوْفِ المُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لاَ يَشْعُرُ، ١/١٩ رقم ــ ٤٨، وأخرجه مسلم في صحيحه، في كِتَاب الإِيمَانِ، بَاب بَيَانِ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»، ١/٨١ ــ رقم ٦٤ وغيرهما من أصحاب الكتب والمسانيد .

يمكن أن ننفي صفة الإيمان عن القاتل، لكنه يدخل في دائرة من اقترف ذنبًا عظيمًا.

٣ــ الطعان في الأنساب، ففي القرآن الكريم جاءت سورة تذم هذا الصنف من الناس، سورة الهمزة قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾(١)، والمعنى أي ويل لكل طعان قبوح عياب في الناس، ومنه قول "مقاتل بن سليمان": "يعني الطعان المغتاب الذي إذا غاب عنه الرجل اعتابه من خلفه لُمَزَةٍ يعني الطاغي إذا رآه طغى عليه في وجهه"(٢)، وبينت السنة كفر الطعان كما في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ(٣)، قال الإمام النووي (ت: ٦٧٦هــ) رحمه الله تعالى مُعلقًا على الحديث: "وَفِيهِ أَقْوَالٌ: أَصَحُّهَا: أَنَّ مَعْنَاهُ هُمَا مِنْ أَعْمَالِ الْكُفَّارِ؛ وَأَخْلَاقِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَالثَّانِي: أَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى الْكُفْرِ، وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ كُفْرُ النِّعْمَةِ؛ وَالْإِحْسَانِ، وَالرَّابِعُ: أَنَّ ذَلِكَ فِي الْمُسْتَحِلِّ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ تَغْلِيظُ تَحْرِيمِ الطَّعْنِ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةِ..)(٤).

٤ ــ مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، قال تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾(٥)، ومن ذلك أيضًا ما جاء في السنة النبوية الصحيحة، ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لاَ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ فَهُوَ كُفْرٌ»(٦)، والمراد هنا بالكفر: هو الكفر

---

(١) سورة الهمزة: آية ١.

(٢) تفسير مُقاتل، مقاتل بن سليمان، ٨٣٧/٤ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، في كِتَابِ الإِيمَانِ، بَابِ إِطْلَاقِ اسْمِ الْكُفْرِ عَلَى الطَّعْنِ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةِ عَلَى الْمَيِّتِ، ٨٢/١ ــ رقم ٦٧ .

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ٥٧/٢ .

(٥) سورة الأحزاب: آية ٥.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كِتَابِ الإِيمَانِ، بَابِ مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، ١٥٦/٨ ــ رقم ٦٧٦٨، وأخرجه مسلم في صحيحه، في كِتَابِ الإِيمَانِ، بَابِ بَيَانِ حَالِ إِيمَانِ مَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ، ٨٠/١ ــ رقم ٦٢ .

الأصغر، الذي لا يُخلد صاحبه في النار كما قال الإمام: ابن حجر العسقلاني[١] مُعلقًا على الحديث: "لَيْسَ الْمُرَادُ بِالْكُفرِ حَقِيقَةَ الْكُفُرِ الَّتِي يَخْلُدُ صَاحِبُها فِي النَّار"[٢].

المصطلح الثالث: السلفية

أولًا: تعريف السلفية لغة:

لفظة السلف في المعاجم اللغوية لا تخرج عن الشيء المتقدم،أو ما مضى، ومن ذلك قول القائل: "سلَف الشيءُ سلَفا: أَي مضى، والسَّلف: الجماعة المتقدِّمون، أَو القوم المتقدمون في السير".

فَيُعَرَّفُ فِي اللُّغَةِ بِالمُتَقَدِّمِ، يَقُولُ مُؤَلِّفُ (لِسَانِ العَرَبِ): "والسَّالفُ المُتَقَدِّمُ، والسَّلَفُ والسَّلِيفُ والسُّلْفَةُ: الجَمَاعَةُ المُتَقَدِّمُونَ، وقَوْلُهُ ﷻ: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾[٣]، وللسَّلَفِ مَعْنَيَانِ آخَرَانِ: أَحَدُهُمَا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدَّمَهُ العَبْدُ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ أَوْ وَلَدٍ فَرَطٍ يُقَدِّمُهُ فَهُوَ لَهُ سَلَفٌ، وقَدْ سَلَفَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ، والسَّلَفُ أَيضًا مَنْ تقدَّمَكَ مِنْ آبَائِكَ وذَوِي قَرَابَتِكَ الَّذِينَ هُمْ فَوْقَكَ فِي السِّنِّ والفَضْلِ، وَاحِدُهُمْ سَالِفٌ"[٤].

ثانيًا: تَعْرِيفُ السَّلَفِ فِي الاصْطِلَاحِ:

السلف: مَنْ تَقَدَّمَنَا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، وبِخَاصَّةٍ القُرُونُ الثَّلَاثَةُ الأُوْلَى، وكَانُوا عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، الَّذِي جَاءَ بِهِ الوَحْيُ وَنَزَلَ بِهِ، وبَلَّغَهُ كَمَا وَعَاهُ عَنْ رَبِّهِ نَبِيُّهُ مُحَمَّدٌ ﷺ، وهُوَ اصْطِلَاحٌ قَدِيمٌ، لَمْ يَكُنْ مِن وَضْعِ مَنْ أَصْبَحُوا يُعْرَفُونَ بِهِ ابْتِدَاءً، وهَذَا فَرْقٌ عَظِيمٌ بَيْنَ مَنْ يَنْتَسِبُونَ إِلَى هَذِهِ النِّسْبَةِ الشَّرِيفَةِ، وبَيْنَ مَنْ يَتَسَمَّونَ بِأَسْمَاءٍ أُخْرَى مِنَ الجَمَاعَاتِ والحَرَكَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ، الَّتِي وَضَعَ أَسْمَاءَهَا مُؤَسِّسُوهَا [٥].

---

(١) أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي المتوفى سنة ٨٥٢ هـ رحمه الله تعالى.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٢/٥٥.

(٣) سورة الزخرف: آية ٥٦ .

(٤) لسان العرب، ابن منظور، مادة (سَلَفَ)، ٩/١٥٨.

(٥) هي السلفية نسبة وعقيدة ومنهجًا، محمد إبراهيم شقرة، ص١٤ .

فَالأَصْلُ فِي مُصْطَلَحِ السَّلَفِيَّةِ لَوْ قُصِدَ بِهِ المَعْنَى الأَصْلِيُّ فَهُوَ عَلَمٌ عَلَى القُرُونِ الثَّلَاثَةِ، ودَليلُ ذَلكَ: ((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّﷺ، قَالَ: خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ))(١)، وهَذِهِ القُرُونُ الثَّلَاثَةُ هُمْ أَصْحَابُ هَذَا اللَّقَبِ (السَّلَفُ) وهَذِهِ هِيَ المُدَّةُ الزَّمَنِيَّةُ المُحَدَّدَةُ، ويُمْكِنُ القَولُ إِنَّ مَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِ السَّلَفِ فَهُوَ يُنْسَبُ إِلَيهِمْ فَيُقَالُ: (سَلَفِيٌّ) نِسْبَةً إِلَى مَنْهَجِ السَّلَفِ.

ولُقِّبَ السَّلَفُ عِنْدَ المُحَقِّقِينَ: "أَلْقَابًا مِنْهَا مَا هُوَ ثَابِتٌ بِالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ، ومِنْهَا مَا لَمْ يَبْرُزْ إِلَّا فِي مُوَاجَهَةِ مَنَاهِجِ أَهْلِ الأَهْوَاءِ والفِرَقِ الضَّالَّةِ لِرَدِّ بِدْعَتِهِمْ، والتَّمَيُّزِ عَنْهُمْ، وإِبْعَادِ الخِلْطَةِ بِهِمْ ولِمُنَابَذَتِهِمْ، فَلَمَّا ظَهَرَتِ البِدْعَةُ تَمَيَّزُوا بِالسُّنَّةِ، ولَمَّا حُكِّمَ الرَّأْيُ تَمَيَّزُوا بِالحَدِيثِ والأَثَرِ، ولَمَّا فَشَتِ البِدَعُ والأَهْوَاءُ فِي الخُلُوفِ تَمَيَّزُوا بِهَدْيِ السَّلَفِ"(٢).

والمَنْهَجُ السَّلَفِيُّ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى طَائِفَةٍ بِعَينِهَا بَلْ يَشْمَلُ كُلَّ مَنِ الْتَزَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ وسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وصَارَ عَلَى مِنْوَالِ هَدْيِ الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ ومَنْ تَبِعَهُمْ، ولَمْ يَشِذَّ بِرَأْيٍ بَعِيدٍ عَنْ صَحِيحِ الشَّرْعِ، أَوْ يُخَالِفِ الهَدْيَ النَّبَوِيَّ، ولِذَلكَ فَإِنَّ المَذَاهِبَ الفِقْهِيَّةَ المُعْتَمَدَةَ كَالمَذْهَبِ المَالِكِيِّ، أَوِ الحَنَفِيِّ، أَوِ الشَّافِعِيِّ، أَوِ الحَنْبَلِيِّ كُلُّهَا مَدَارِسُ سَلَفِيَّةٌ، لَا تَقْتَصِرُ عَلَى الجَوَانِبِ الفِقْهِيَّةِ فَحَسْبُ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ فَلِكُلٍّ مِنْ أَصْحَابِ المَذَاهِبِ الفِقْهِيةِ كُتُبٌ فِي كَثِيرٍ مِنْ فُنُونِ العِلْمِ: كَالعَقِيدَةِ، واللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، وأُصُولِ الفِقْهِ، وعِلْمِ الحَدِيثِ وغَيْرِهَا مِنَ العُلُومِ (٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، فِي كِتابِ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فِي بابِ فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ٥/٣ رقم ٣٦٥١، وأخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، فِي بَابِ فَضْلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ٤/١٩٦٢ رقم ٢٥٣٣.

(٢) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، بكر أبو زيد، ص٤٢ .

(3) Meijer, Roel (2009). "Introduction". In Meijer, Roel. Global Salafism: Islam's New Religious Movement. Columbia University Presss. p.34، Haykel, Bernard (2009). "Chapter 1: On the Nature of Salafi Thought and Action". In Meijer, Roel. Global Salafism: Islam's New Religious Movement. Columbia University Press. p. 34. ISBN 978-0-231-15420-8.

المبحث الثاني: تكفير من لم يقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام.

تمهيد:

إن من أسس الإنصاف في البحث العلمي أن يذكر الباحث الرأي مجردًا للشخصية التي يتحدث عنها، ثم بعد ذلك يسوق نصوص الشُراح أو المحققين لبيان حقيقة النص، شريطة ألَّا يأتي الشارح أو المحقق بشرح مستهجن لا يتفق مع اللفظ الصريح.

لذا كان لِزامًا عليَّ أن أنتهج هذا النهج كما هو متبع في الأبحاث العلمية المنصفة، وسأَسوق النص للشيخ: محمد بن عبدالوهاب غفر الله له ولنا، ثم آتي بما كتبه شُراح مؤلفاته حول هذا النص إن وجد.

إن كتابات الشيخ: محمد بن عبدالوهاب عبارة عن رسائل بسيطة في عدد الصفحات، ولقد قام بشرحها الكثير من علماء السلفية على اختلاف نسبتهم إلى بلادهم، أو إلى منهجهم.

وحتى لا نتهم بالتعصب ونُرمى بأننا نروج لخطاب الكراهية؛ فإنني سأورد النص مجردًا ثم مفهوم النص عند أتباع هذه المدرسة، وبيان جانب التأثر والتأثير، وحتى نقف ضد الغلو والعصبية التي تجتاح البلاد والعباد، ونعمل على جمع شتات الأمة التي فُرِقت بسبب هذه العصبية المقيتة، وظهرت مدارس شتى، كُلٌّ مدرسة منها تدعي أنها تسير وفق منهج السلف، ولذا فإن منهج السلف قد نُقِلَ إلينا نقلًا بلغ حد التواتر، وموجود بين الكتب التي وضحت لنا معالم المنهج السلفي الصحيح، فكان التنقيب عن أقوالهم، والعمل على بيان صحيح معتقدهم هو السبيل الذي نريده، والأصل كما تقول هذه المدرسة: الأصل عندنا قال الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

من أجل هذا كله كانت طبيعة هذا المبحث، وكما تعودنا: ندور مع الحق حيث كان، أو بعبارة أخرى: ندور مع الدليل حيث دار، وقد قال بهذا القول الشيخ: محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، فقال في كتابه التوسل وأنواعه: "ندور مع

الدليل حيث دار ولا نتعصب للرجال، ولا ننحاز لأحد إلا للحق كما نراه ونعتقده"[١].

١ــ تكفير الشيخ محمد بن عبدالوهاب لمن أنكر تقسيم التوحيد ثلاثًا ولمن يُسمي التوحيد اعتقادًا:

علمنا أن التوحيد هو الاعتقاد، لكن الشيخ محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هــ)، خالف هذا الكلام، وزعم أن المشركين هم الذين يسمون التوحيد بالاعتقاد في زماننا، فقال: "بيان الأدلة على أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرون بتوحيد الربوبية ولم يخرجهم ذلك من الشرك في العبادة فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهدون بهذا، فاقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[٢]، وقوله ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾[٣]، وغير ذلك من الآيات. فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا ولم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعرفت أن التوحيد الذي جحدوا هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا (الاعتقاد). كما كانوا يدعون الله سبحانه وتعالى ليلًا ونهارًا، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له أو يدعو رجلًا صالحًا مثل اللات، أو نبيًّا مثل عيسى. وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم إلى إخلاص العبادة

---

(١) التوسل أنواعه وأحكامه، الألباني، ص ٤٣.

(٢) سورة يونس: آية ٣١ .

(٣) سورة هود: الآيات ٨٤ ــ ٨٩.

لله وحده، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[١]، وقال: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾[٢]، وتحققت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم ليكون الدعاء كله لله، والنذر كله لله، والاستغاثة كلها بالله، وجميع أنواع العبادات كلها لله. وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وأن قصدهم الملائكة، والأنبياء، والأولياء، يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم. عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون"[٣].

ثم تابع الشيخ محمد بن عبد الوهاب بيان التوحيد عنده، فزعم أن الكفار في زمان النبي صلى الله عليه وسلم، كانوا أعلم بالتوحيد من بعض المسلمين الذين ينتسبون إلى الإسلام، أو يدعونه، فقال: "بيان أن توحيد العبادة هو معنى لا إله إلا الله وأن الكفار في زمنه صلى الله عليه وسلم كانوا أعرف بمعناها من بعض من يدعي الإسلام وهذا التوحيد هو معنى قولك (لا إله إلا الله) فإن الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكًا، أو نبيًّا، أو وليًّا، أو شجرة، أو قبرًا، أو جنيًّا لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك. وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ (السيد) فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهي (لا إله إلا الله) والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها. والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة هو (إفراد الله تعالى) بالتعلق و (الكفر) بما يعبد من دونه والبراءة منه، فإنه لما قال صلى الله عليه وسلم قولوا (لا إله إلا الله) قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[٤]، فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من

(١) سورة الجن: آية ١٨ .
(٢) سورة الرعد: آية ١٤ .
(٣) كشف الشبهات، محمد بن عبدالوهاب، ص ٥-٧.
(٤) سورة ص: آية ٥ .

تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفرة، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني. والحاذق منهم يظن أن معناه لا يخلق ولا يرزق إلا الله ولا يدبر الأمر إلا الله، فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى (لا إله إلا الله)"[(١)].

ثانيًا: شروط الإسلام عند الشيخ محمد بن عبدالوهاب:

اشترط لدخول العبد في الإسلام أن يحقق شروط التوحيد، فيقر بتوحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، فلو أقر بتوحيد الربوبية دون غيره كان مشركًا، فقال ما نصه: "فالذين يزعم أهل الشرك في زماننا أنهم وسائطهم الذين يسميهم الأولون الآلهة، والواسطة هو الإله، فقول الرجل "لا إله إلا الله" إبطال للوسائط. وإذا أردت أن تعرف هذا معرفة تامة، فذلك بأمرين: الأول: أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقتلهم، وأباح أموالهم، واستحل نساءهم كانوا مقرين لله سبحانه بتوحيد الربوبية، وهو أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبر الأمور إلا الله وحده. كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾[(٢)]، وهذه مسألة عظيمة جليلة مهمة، وهي أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهدون بهذا كله ومقرون به، ومع هذا لم يدخلهم ذلك في الإسلام، ولم يحرم دماءهم ولا أموالهم، وكانوا أيضًا يتصدقون، ويحجون، ويعتمرون، ويتعبدون، ويتركون أشياء من المحرمات؛ خوفًا من الله.

ولكن الأمر الثاني: هو الذي كفرهم وأحل دماءهم وأموالهم وهو: أنهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية؛ وتوحيد الإلهية هو أن لا يدعى ولا يرجى إلا الله وحده لا شريك له، ولا يستغاث بغيره، ولا يذبح لغيره، ولا ينذر لغيره، لا لملك مقرب ولا نبي مرسل؛ فمن استغاث بغيره فقد كفر، ومن ذبح لغيره فقد كفر، ومن نذر لغيره فقد كفر، وأشباه ذلك. وتمام هذا أن تعرف أن

(١) كشف الشبهات، محمد بن عبدالوهاب، ص ٨-٩.

(٢) سورة يونس: آية ٣١ .

المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يدعون الصالحين مثل الملائكة وعيسى وأمه وعزير وغيرهم من الأولياء فكفروا بهذا، مع إقرارهم بأن الله سبحانه هو الخالق الرازق المدبر. إذا عرفت هذا عرفت معنى " لا إله إلا الله "، وعرفت أن من دعا نبيًّا أو ملكًا، أو ندبه أو استغاث به؛ فقد خرج من الإسلام، وهذا هو الكفر الذي قاتلهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. فإن قال قائل من المشركين: نحن نعرف أن الله هو الخالق الرازق المدبر، لكن هؤلاء الصالحون مقربون، ونحن ندعوهم، وننذر لهم، وندخل عليهم، ونستغيث بهم، ونريد بذلك الوجاهة والشفاعة، وإلا فنحن نفهم أن الله هو الخالق الرازق المدبر. فقل: كلامك هذا مذهب أبي جهل وأمثاله، فإنهم يدعون عيسى وعزيرًا والملائكة والأولياء يريدون ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾[٢]. فإذا تأملت هذا تأملًا جيدًا، وعرفت أن الكفار يشهدون لله بتوحيد الربوبية وهو تفرده بالخلق والرزق والتدبير، وهم ينخون عيسى والملائكة والأولياء، يقصدون أنهم يقربونهم إلى الله زلفى ويشفعون لهم عنده"[٣].

ثالثًا: مغالطات الشيخ محمد بن عبدالوهاب: حيث جعل الاعتقاد خلاف التوحيد، ورمى من يُسمي التوحيد بالاعتقاد، وينبغي علينا أن نُبين أولًا ما المراد بالاعتقاد:

---

(١) سورة الزمر: آية ٣ .

(٢) سورة يونس: آية ١٨ .

(٣) مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب)، محمد بن عبدالوهاب، المحقق: إسماعيل بن محمد الأنصاري، ١/ ٣٦٥-٣٦٧.

تعريف العقيدة في اللغة:

جاء في المصباح المنير: "اعْتَقَدْتُ كَذَا، عَقَدْتُ عَلَيْهِ الْقَلْبَ وَالضَّمِيرَ، حَتَّى قِيلَ الْعَقِيدَةُ مَا يَدِينُ الْإِنْسَانُ بِهِ، وَلَهُ عَقِيدَةٌ حَسَنَةٌ سَالِمَةٌ مِنْ الشَّكِّ وَاعْتَقَدْتُ مَالًا جَمَعْتُهُ"(١).

ثالثًا: وعلى هذا فإن العقيدة وفقًا لما جاء في التعريف الماضي تُطلقُ على ما يدين به الإنسان ويعتقده.

تعريف العقيدة اصطلاحًا: قبل أن أذكر التعريف اصطلاحًا أود أن أنبه إلى أن التعريفات التي سأسوقها ستكون مقتصرة على المدرسة السلفية دون غيرها؛ ليظهر لنا الحق الذي نبحثُ عنه. ١ــ مصطلح الاعتقاد عند الشيخ ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ــ المتوفى: ٧٢٨هــ)، قال في العقيدة الواسطية: "فَهَذَا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ: أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: وَهُوَ الإِيمانُ بِالله وَمَلائكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، والإِيمَانِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. وَمِنَ الإيمَانِ بِالله: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ"(٢).

٢ــ مصطلح الاعتقاد عند الشيخ أبي بكر جابر بن موسى بن عبدالقادر الجزائري رحمه الله المتوفى سنة ١٤٣٩هــ = ٢٠١٨م. خطيب المسجد النبوي فقال: "مجموعة من قضايا الحق البديهية، يعقد عليها الإنسان قلبه، ويثبت عليها صدره جازمًا بصحتها، قاطعًا بوجودها وثبوتها، لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون أبدًا"(٣).

٣ــ مصطلح الاعتقاد عند الشيخ (صالح بن عبدالعزيز محمد بن إبراهيم آل الشيخ) قال: "الاعتقاد ما يُعقد القلب عليه من الأمور التي تُعتقد، وأصلها من

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، ص ٤٢١.

(٢) العقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة، ابن تيمية، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ص ٥٤-٥٧.

(٣) عقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائري، ص ٢١.

العلم الجازم، لأن الاعتقاد فيه جزم على العلم، فإذا علمت شيئًا وجزمت به صرت معتقدًا له، وخص هذا الاسم (الاعتقاد) بشرح أركان الإيمان الستة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والإيمان باليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره من الله سبحانه وتعالى، وما أُضيفَ إلى ذلك من المسائل التي تميز بها أهل الاعتقاد الحق في أسماء الله وصفاته"(١).

٤ـ مصطلح الاعتقاد عند الدكتور: ناصر بن عبدالكريم العقل عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود، فقال: "الإيمان الجازم بالله، وما يجب من ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه، وصفاته، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين، وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله صلى الله عليه وسلم بالطاعة والتحكيم والاتباع"(٢).

تعريف التوحيد لغة:

عُرِّفَ التوحيد في اللغة بأنه: مشتق من (وحد)، الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد، مِنْ ذَلِكَ الْوَحْدَةِ. وَهُوَ وَاحِدُ قَبِيلَتِهِ، وفلان (واحد دهره) أي لا نظير له(٣)، وفلان لا واحد له، ووحده توحيدًا: جعله واحدًا، والتوحيدُ: الإِيمانُ بالله وَحْدَهُ. والله الأَوحدُ والمُتَوَحِّدُ: ذُو الوَحْدانِيَّةِ"(٤).

---

(١) اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواَسِطية، ابن تيمية، شرح الشيخ: صالح بن عبدالعزيز محمد بن إبراهيم آل الشيخ، تحقيق: عادل بن محمد مرسي رفاعي، ٦٩/١.

(٢) عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، د. ناصر عبدالكريم العقل، ص ٩.

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون، ٩٠/٦.

(٤) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص ٣٢٤.

تعريف التوحيد اصطلاحًا:

١ــ مصطلح التوحيد عند الشيخ محمد بن عبدالوهاب قال: "التوحيد: وهو إفراد الله بالعبادة"(١).

٢ــ مصطلح التوحيد عند الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب (المتوفى: ١٢٣٣هـ) حفيد الشيخ محمد بن عبدالوهاب في شرحه لكتاب التوحيد لجده، قال: "فسرت العبادة بالطاعة، وفسر الإله بالمعبود المطاع، فمن أطاع مخلوقًا في ذلك فقد عبده، معنى التوحيد، وشهادة أن لا إله إلا الله يقتضي إفراد الله بالطاعة، وإفراد الرسول بالمتابعة، فإن من أطاع الرسول صلى الله عليه وسلم فقد أطاع الله"(٢).

٣ــ مصطلح التوحيد عند الشيخ: حامد بن محمد بن حسين بن محسن (المتوفى بعد سنة ١٣١٧ هـ)، في شرحه لكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب، فقال: "هو إفراد الله بالعبادة التي شرعها على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ونفي العبادة عما سواه"(٣).

٤ــ مصطلح التوحيد عند الشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى سنة ١٤٢١هـ)، في شرحه لكتاب ثلاثة الأصول للشيخ محمد بن عبدالوهاب، فقال: "وفي الاصطلاح عرفه المؤلف يعني الشيخ محمد بن عبدالوهاب بقوله: "التوحيد هو إفراد الله بالعبادة" أي أن تعبد الله وحده لا تشرك به شيئًا، لا تشرك به نبيًّا مرسلًا، ولا ملكًا مقربًا ولا رئيسًا ولا ملكًا ولا أحدًا من الخلق، بل تفرده وحده بالعبادة محبة وتعظيمًا، ورغبة ورهبة، ومراد الشيخ رحمه الله التوحيد الذي بعثت الرسل لتحقيقه؛ لأنه هو الذي

---

(١) مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب)، ١/ ١٦٨.

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبدالوهاب، المحقق: زهير الشاويش، ص ١١٤.

(٣) فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد، حامد بن محمد بن حسين بن محسن، المحقق: بكر بن عبد الله أبو زيد، ص ٢٨.

حصل به الإخلال من أقوامهم. وهناك تعريف أعم للتوحيد وهو: "إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به"(١).

وبالتالي فإن علماء الأمة قاطبة لا يخرجون عن هذا التعريف، والتعريف جاء مجملًا، بسيطًا، فعرفه الشيخ محمد بن عبدالوهاب فقال: إفراد العبادة لله وحده، فهل شذ جمهور المتكلمين عن هذا التعريف؟!، بالطبع لا، ومن طالع كتب القوم فلن يجد خروجًا عن هذا المعنى، وأذكر مختصرًا تعريف التوحيد عند المدرسة الأشعرية: جاء في شرح جوهرة التوحيد للشيخ: إبراهيم بن محمد الباجوري الشافعي الأشعري (المتوفى سنة ١٢٧٧ هـ): "التوحيد: إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته، والتصديق بها ذاتًا وصفاتٍ وأفعالًا"(٢).

والآية تدل دلالة قطعية على إفراد الله بالعبادة والطاعة وهذا أمر منه سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾(٣).

وفي موضع آخر جاء الأمر لأصحاب الملل الأخرى بضرورة العبادة الخالصة لله وحده، والخروج من الشرك الذي كانوا عليه من عبادتهم للأشخاص، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٤).

ومع ذلك تأثر الشيخ العثيمين بتقسيم التوحيد الثلاثي، فقال في شرحه للعقيدة الواسطية: "ولهذا كانت دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى هذا الأمر الهام العظيم، عبادة الله وحده لا شريك له. ولم يكن الرسل الذين أرسلهم الله عز وجل إلى البشر يدعون إلى توحيد الربوبية كدعوتهم إلى توحيد الألوهية، ذلك أن منكري توحيد الربوبية قليلون جدًّا، وحتى الذين ينكرونه هم في قرارة نفوسهم لا يستطيعون أن ينكروه، اللهم إلا أن يكونوا

---

(١) شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ص ٣٩.
(٢) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، إبراهيم بن محمد الباجوري، ص ١٠.
(٣) سورة البينة: آية ٥ .
(٤) سورة التوبة: آية ٣١ .

قد سُلبوا العقول المدركة أدنى إدراك، فإنهم قد ينكرون هذا من باب المكابرة. وقد قسم العلماء رحمهم الله التوحيد إلى ثلاثة أقسام: أحدها: توحيد الربوبية: وهو: إفراد الله سبحانه وتعالى في أمور ثلاثة: في الخلق والملك والتدبير، القسم الثاني: توحيد الألوهية: وهو إفراد الله عز وجل بالعبادة؛ بألا تكون عبدًا لغير الله، لا تعبد ملكًا ولا نبيًّا ولا وليًّا ولا شيخًا ولا أُمًّا ولا أبًا، لا تعبد إلا الله وحده، فتفرد الله عز وجل وحده بالتأله والتعبد، ولهذا يسمى: توحيد الألوهية، ويسمى: توحيد العبادة، فباعتبار إضافته إلى الله هو توحيد ألوهية، وباعتبار إضافته إلى العابد هو توحيد عبادة، القسم الثالث: وهو توحيد الأسماء والصفات"(١).

فهل هناك من فارق بين تعريف المدرسة السلفية والمدرسة الأشعرية؟!، أو أن المعبود غير الله؟!، بالطبع لا، فهو وحده المستحق للعبادة وليس غيره، وهل جاء التقسيم في التعريف؟!.

ويقول الدكتور: إبراهيم بن محمد البريكان -عضو هيئة التدريس بكلية المعلمين بالدمام-، الفرق بين العقيدة والتوحيد:

(١)ـ يجتمعان في أن كلًّا منهما يثبت الحق بدليله.

(٢)ـ أن العقيدة أعم من جهة موضوعها من التوحيد، فإن كان التوحيد يقرر الحق بدليله فقط، فإن العقيدة تقرره، وترد الشبهات، وتبين ما يقدح في الأدلة الخلافية، وتناقش الديانات والفرق.

(٣)ـ أن الإيمان بالكتب والرسل والملائكة واليوم الآخر والإيمان بالقدر يدخل في إطار العقيدة بالمطابقة، وفي التوحيد بالاستلزام(٢).

وعلى ذلك يلزمه أن يكفر عموم المسلمين بما فيهم علماء الحنابلة وبخاصة المدرسة السلفية من لدن ابن تيمية حتى المدرسة السلفية المعاصرة، فقد طابقوا التوحيد بالعقيدة، وجميع قضايا التوحيد دونها

---

(١) شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، ١/٢٠ -٢٩ باختصار.

(٢) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة، د. إبراهيم بن محمد البريكان، ص ١٥.

بمؤلفات مستقلة تحمل اسم الاعتقاد، ونذكر من هذه المؤلفات على سبيل المثال:

١ــ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم هبة الله اللالكائي رحمه الله المتوفى سنة ٤١٨هــ.

٢ــ كتاب عقيدة السلف أصحاب الحديث لأبي عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني رحمه الله المتوفى سنة ٤٤٩هــ.

٣ــ الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة لأبي بكر البيهقي رحمه الله المتوفى سنة ٤٥٨هــ.

٤ــ الاعتقاد لأبي الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد رحمه الله المتوفى : ٥٢٦هــ.

٥ــ الاقتصاد في الاعتقاد للشيخ عبدالغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي، أبو محمد، تقي الدين رحمه الله المتوفى: ٦٠٠هــ.

٦ــ الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد الشيخ علي بن إبراهيم بن داود بن سلمان بن سليمان، أبو الحسن، علاء الدين ابن العطار رحمه الله المتوفى: ٧٢٤هــ.

٧ــ الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية للشيخ أحمد السفاريني رحمه الله المتوفى سنة ١١١٨هــ.

٨ــ الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد للدكتور: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

وقد ألف مجموعة كبيرة من العلماء كتب العقيدة وأطلقوا عليها اسم السنة، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ــ كتاب السُّنَّة: الشيخ ابن أبي شيبة رحمه الله المتوفى سنة ٢٣٥هــ.

٢ــ كتاب السُّنَّة: الشيخ أحمد بن حنبل رحمه الله المتوفى سنة ٢٤١هــ.

٣ــ كتاب السُّنَّة: الشيخ أبو داود رحمه الله المتوفى سنة ٢٧٥هــ.

٤ــ كتاب السُّنَّة: الشيخ ابن أبي عاصم رحمه الله المتوفى سنة ٢٨٧هــ.

٥ــ كتاب السُّنَّة: الشيخ عبد الله بن الإمام أحمد رحمه الله المتوفى سنة ٢٩٠هــ.

٦ــ كتاب السُّنَّة: الشيخ محمد بن نصر بن الحجاج المروزي رحمه الله المتوفى سنة ٢٩٤ هــ.

٧ــ كتاب السُّنَّة: الشيخ أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلّال البغدادي الحنبلي رحمه الله المتوفى: ٣١١هــ.

٨ــ كتاب السُّنَّة: الشيخ محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى، ابن منده رحمه الله المتوفى سنة ٣٩٥هــ.

وعلى هذا فقد جاء اسم السُّنَّة، بمعنى العقيدة أيضًا، فهل يلزم من ذلك الحكم على هؤلاء العلماء وجلهم من المدرسة السلفية بالخروج من الإسلام كما فعل الشيخ محمد بن عبدالوهاب، في حكمه المتقدم ذكره، بأن المشركين من يسمون التوحيد بالاعتقاد؟!.

رابعًا: تفضيل المشركين على السواد الأعظم من المسلمين:

إن من طالع مؤلفات المدرسة السلفية يتضح له أن كثيرًا ممن تدارسوا هذه الكتب، وتأثروا بمشايخ المدرسة السلفية قد قالوا بما قال به سلفهم، فهذا أحد شبابهم يصرح في جرأة غريبة بأن أبا جهل، وأبا لهب كانا يقران بتوحيد الربوبية، وتوحيدهما أفضل من توحيد كثير من المسلمين في زماننا، وعلى خطى الشيخ محمد بن عبدالوهاب ساروا دون أن يعطوا لأنفسهم ضرورة المراجعة، وأن الإقبال على التكفير لهو أشد جُرمًا طالما لم يرد هناك نص، وفي الحديث الصحيح عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا كَفَّرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا"(١)، والمعنى هنا أن المراد بالكفر تكفير الآخر.

وهذا نص كلام الرجل دون زيادة ولا نقصان: "توحيد أبي جهل وأبي لهب: أبو جهل وأبو لهب ومن على دينهم من المشركين، كانوا يؤمنون بالله ويوحدونه في الربوبية خالقًا ورازقًا، محييًا ومميتًا، ضارًّا ونافعًا، لا يشركون به في ذلك شيئًا؟! عجيب، وغريب، أن يكون أبوجهل وأبولهب، أكثر توحيدًا لله وأخلص إيمانًا به من هؤلاء المسلمين الذين يقولون لا إله

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابِ الْإِيمَانَ، بَابِ مَعرِفةِ الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ، ١ / ٧٩ رقم ٦٠.

إلا الله محمد رسول الله؟!، ما هذا يا رجل، كيف تجرؤون على التصريح بمثل هذا الكلام الخطير، الذي هو وأمثاله مما تغالون فيه هو الذي جعلكم أعداء للملايين من المسلمين في العالم؟ فقلت له: ليس هذا عجيبًا ولا غريبًا، بل هذا هو الواقع الذي ستعرفه وستسلم به (إن شاء الله) عندما تنكشف لك الحقائق جلية، وتنتصب أمامك الأدلة مشرقة واضحة، وعندها سيزول (بإذن الله) ما علق بذهنك، وستتخلص مما رسب في عقلك من رواسب المغالطات التي تغالطون بها أنفسكم وتظنونها حججًا وبراهين، فقد قال تعالى مؤكدًا إيمان أولئك المشركين الأولين به سبحانه وتعالى، ربًّا خالقًا ورازقًا، ومحييًا ومميتًا، ضارًّا ونافعًا، قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في حق هؤلاء المشركين: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾(١)، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾(٢)، ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ* قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ* قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾(٣)، ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾(٤)، فهذه الآيات البينات (يا صاحبي) هي دليلنا الذي لا يقبل الجدل على أن المشركين الأولين ما كانوا يكفرون بوجود الله، وما كانوا يعتقدون أن له شريكًا يشاركه التصرف في شيء من ملكه بل كانوا يوحدونه (في الربوبية) توحيدًا كاملًا، المشركون الأولون كانوا أكثر إيمانًا من مشركي هذا الزمن. أما الدليل على أن توحيد المشركين الأولين وإيمانهم بربهم كان

---

(١) سورة العنكبوت: آية ٦١ .

(٢) سورة العنكبوت: آية ٦٣ .

(٣) سورة المؤمنون: الآيات. ٨٤-٨٩.

(٤) سورة يونس: آية ٣١ .

أقوى من توحيد القبوريين وإيمانهم في هذا الزمن فهو أيضًا من القرآن ذلك الكنز الذي لا ينفد والنور الذي لا يخبو، فقد قال الله تعالى في حق أولئك المشركين: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾(١)، ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإنسان كَفُورًا﴾(٢)، ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ* قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾(٣)، فهذه الآيات تثبت أن أولئك المشركين إذا ركبوا في البحر وتعرضوا للخطر فتوقعوا نزول قارعة نسوا آلهتهم من الأولياء وغيرهم وكفروا بهم، وأخلصوا الدين لله وحده، وتوجهوا إليه بالدعاء، معلقين عليه وحده الرجاء"(٤).

خامسًا: من أين جاء هذا التقسيم:

والحق أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد قال بما قال به الشيخ ابن تيمية، كما في مجموع الفتاوى حيث قسم الشيخ ابن تيمية التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: توحيد الربوبية.

القسم الثاني: توحيد الألوهية.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات.

وبيان ذلك كالتالي عند الشيخ ابن تيمية رحمه الله:

القسم الأول: توحيد الربوبية: وقد عرفه الشيخ ابن تيمية فقال: "أي أنه سبحانه خالق كل شيء وربه ومليكه، لا خالق غيره، ولا رب سواه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فكل ما في الوجود من حركة وسكون، فبقضائه

---

(١) سورة العنكبوت: آية ٦٥ .

(٢) سورة الإسراء: آية ٦٧ .

(٣) سورة الأنعام: آية ٦٣ ــ ٦٤ .

(٤) كيف نفهم التوحيد، محمد بن أحمد باشميل (المتوفى: ١٤٢٦هـ)، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ، ص ١٢- ١٥.

وقدره ومشيئته وقدرته وخلقه"[١]، واستدل على ذلك بقول الله : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٢].

ويوضح معنى توحيد الربوبية في موضع آخر فيقول: " مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ؛ إذْ الْإِلَهُ: هُوَ الَّذِي يُؤَلَّهُ فَيُعْبَدُ مَحَبَّةً وَإِنَابَةً وَإِجْلَالًا وَإِكْرَامًا وَالرَّبُّ: هُوَ الَّذِي يُرَبِّي عَبْدَهُ فَيُعْطِيهِ خَلْقَهُ ثُمَّ يَهْدِيهِ إلَى جَمِيعِ أَحْوَالِهِ مِنْ الْعِبَادَةِ وَغَيْرِهَا؛ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾[٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[٥]، وقَوْله تَعَالَى : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾[٦]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾[٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾[٨]، ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾[٩]، فَهَذِهِ سَبْعَةُ مَوَاضِعَ تَنْتَظِمُ هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ الْجَامِعَيْنِ"[١٠].

وفي موضع آخر يقرر أن النفع والضر لا يكون إلا بإذن الله، فيقول ما نصه: "فَإِنَّ الرَّبَّ سُبْحَانَهُ هُوَ: الْمَالِكُ، الْمُدَبِّرُ، الْمُعْطِي، الْمَانِعُ، الضَّارُّ، النَّافِعُ، الْخَافِضُ، الرَّافِعُ، الْمُعِزُّ، الْمُذِلُّ، فَمَنْ شَهِدَ أَنَّ الْمُعْطِيَ، أَوْ الْمَانِعَ، أَوْ الضَّارَّ، أَوْ النَّافِعَ، أَوْ الْمُعِزَّ، أَوْ الْمُذِلَّ، غَيْرُهُ فَقَدْ أَشْرَكَ بِرُبُوبِيَّتِهِ"[١١].

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية، ص ١٢٤.
(٢) سورة الأعراف: آية ٥٤ .
(٣) سورة هود: آية ٨٨ .
(٤) سورة هود: آية ١٢٣ .
(٥) سورة الممتحنة: آية ٤ .
(٦) سورة الفرقان: آية ٥٨ .
(٧) سورة الرعد: آية ٣٠ .
(٨) سورة المزمل: آية ٨ .
(٩) سورة المزمل: آية ٩ .
(١٠) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١/ ٢٢.
(١١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١/ ٩٢.

وقال أيضًا: "فَتَعَيَّنَ أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ عَائِدٌ إلَى تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ، وَأَنَّهُ لَا يَنْفَعُ أَحَدٌ وَلَا يَضُرُّ إلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُعْبَدَ أَحَدٌ غَيْرُ اللَّهِ، وَلَا يُسْتَعَانَ بِهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَظْهَرُ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ وَيَتَبَرَّأُ كُلُّ مُدَّعٍ مِنْ دَعْوَاهُ الْبَاطِلَةِ فَلَا يَبْقَى مَنْ يَدَّعِي لِنَفْسِهِ مَعَهُ شِرْكًا فِي رُبُوبِيَّتِهِ أَوْ إلَهِيَّتِهِ وَلَا مَنْ يَدَّعِي ذَلِكَ لِغَيْرِهِ بِخِلَافِ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَبٌّ وَلَا إلَهَ إلَّا هُوَ فَقَدْ اتَّخَذَ غَيْرَهُ رَبًّا وَإِلَهًا وَادَّعَى ذَلِكَ مُدَّعُونَ"(١).

ومع ذلك فكلنا نقر بأن النفع والضر لا يكون إلا بإذن الله، عَنْ ابْنِ عَبَّاس، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»(٢).

القسم الثاني: توحيد الألوهية: وقد عرفه أيضًا فقال: "هُوَ تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ وَهُوَ أَلَّا تَجْعَلَ مَعَهُ وَلَا تَدْعُوَ مَعَهُ إلَهًا غَيْرَهُ فَأَيْنَ هَذَا مِنْ أَنْ يَجْعَلَ نَفْسَ الْوُجُودِ هُوَ إيَّاهُ"(٣).

واستدل على ذلك بجملة من الآيات فقال: "إنَّ اللَّهَ قَالَ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾(٤)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١/ ١١٩ - ١٢٠.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، ٤/ ٦٦٧ رقم ٢٥١٦، وقال عنه الترمذي: " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٤/ ٤١٠ رقم ٢٦٦٩، وأخرجه أبو يعلى في معجمه، ص ١٠١، رقم ٩٦، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ١/ ٣٧٤ -٣٧٥ رقم ١٩٢.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج ٢، ص ٢٧٧.

(٤) سورة الإسراء: آية ٣٩ .

تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾(١)، وقَالَ: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾(٢).

فَنَهَاهُ أَنْ يَجْعَلَ أَوْ يَدْعُوَ مَعَهُ إِلَهًا آخَرَ وَلَمْ يَنْهَهُ أَنْ يُثْبِتَ مَعَهُ مَخْلُوقًا أَوْ يَقُولَ: إنَّ مَعَهُ عَبْدًا مَمْلُوكًا أَوْ مَرْبُوبًا فَقِيرًا أَوْ مَعَهُ شَيْئًا مَوْجُودًا خَلَقَهُ كَمَا قَالَ: ﴿لَا إلَهَ إلَّا هُوَ﴾ وَلَمْ يَقُلْ لَا مَوْجُودَ إلَّا هُوَ أَوْ لَا هُوَ إلَّا هُوَ أَوْ لَا شَيْءَ مَعَهُ إلَّا هُوَ: بِمَعْنَى أَنَّهُ نَفْسُ الْمَوْجُودَاتِ وَعَيْنُهَا. وَهَذَا كَمَا قَالَ: ﴿وَإِلَهُكُمْ إلَهٌ وَاحِدٌ﴾(٣)، فَأَثْبَتَ وَحْدَانِيَّتَهُ فِي الْأُلُوهِيَّةِ"(٤).

وتوحيد الألوهية عنده لا يتحقق إلا بأمرين هما:

الأمر الأول: براءة أهل الإسلام من المشركين: وفي هذا يقول: "كالتوحيد الذي ذكره في سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾(٥)، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾(٦)، كيف يصلح لأولئك الذين أشركوا وائتموا بالمشركين في نقيض التوحيد(٧).

الأمر الثاني: التوحيد الحق، وهو توحيد الرسل والمؤمنين هو عبادة الله وحده، فمن عبد الله وحده لم يشرك به شيئًا فقد وحده، ومن عبد من دونه شيئًا من الأشياء فهو مشرك به ليس بموحد مخلص له الدين(٨).

ثم لم يسلم منه أصحاب المدارس الكلامية، فرماهم بالجهل في عدم التفريق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، فقال: "والمقصود هنا أن التوحيد الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله وهو المذكور في الكتاب والسنة وهو المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، ليس هو هذه الأمور

---

(١) سورة الشعراء: آية ٢١٣ .
(٢) سورة القصص: آية ٨٨ .
(٣) سورة البقرة: آية ١٦٣ .
(٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٢/ ٢٧٧.
(٥) سورة الإخلاص: آية ١ ــ٣ .
(٦) سورة الكافرون: آية ١ ــ ٦ .
(٧) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية، ٣/ ١٨٣.
(٨) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية، ٣/ ١٨٣.

الثلاثة التي ذكرها هؤلاء المتكلمون، وإن كان ما فيها ما هو داخل في التوحيد الذي جاء به الرسول، فهم مع زعمهم أنهم (الموحدون) ليس توحيدهم هو التوحيد الذي ذكر الله ورسوله؛ بل التوحيد الذي يدّعون الاختصاص به باطل في الشرع والعقل واللغة، وذلك أن توحيد الرسل والمؤمنين هو عبادة الله وحده، فمن عبدالله وحده لم يشرك به شيئًا فقد وحده، ومن عبد من دونه شيئًا من الأشياء فهو مشرك به ليس بموحد مخلص له الدين، وإن كان مع ذلك قائلًا بهذه المقالات التي زعموا أنها التوحيد، حتى لو أقروا بأن الله وحده خالق كل شيء وهو (التوحيد في الأفعال) الذي يزعم هؤلاء المتكلمون أنهم يقرون أنه لا إله إلا هو، ويثبتون بما توهموه من دليل التمانع وغيره لكان مشركًا، وهذه حال مشركي العرب الذين بعث الرسول إليهم ابتداءً ونزل القرآن ببيان شركهم ودعاهم إلى توحيد الله وإخلاص الدين له، فكانوا يقرون بأن الله وحده هو الذي خلق السموات والأرض؛ كما أخبر الله بذلك عنهم في القرآن، كما في قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾(١)، وفي قوله: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾(٣)، قال ابن عباس: "تسألهم من خلق السموات والأرض فيقولون الله وهم مع هذا يعبدون غيره فهذا الشرك المذكور في القرآن في مواضع كثيرة المضاد للإخلاص والتوحيد"(٤).

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات، وهذا النوع من التوحيد يعرفه ابن تيمية فيقول: "أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفته به

(١) سورة لقمان: آية ٢٥ .
(٢) سورة المؤمنون: الآيات ٨٤ ـــ ٨٩.
(٣) سورة يوسف: آية ١٠٦ .
(٤) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية، ٣/ ١٣٧-١٣٩.

رسله نفيًا وإثباتًا، فيُثبَت لله ما أثبته لنفسه، ويُنفى عنه ما نفاه عن نفسه"[١].

ثم بين طريقة السلف في توحيد الأسماء والصفات، وأن نثبت الصفات كما أثبتها الله تعالى لنفسه، وأنه لا بد من نفي ثلاثة أمور لا تدخل في توحيد الأسماء والصفات، وهذه الأمور المنفية التي لا تدخل في توحيد الأسماء والصفات هي:

١ــ التكييف، ومعناه حكاية الصفة وبيان كيفيتها.٢ــ التعطيل، ومعناه إنكار الصفات وعدم الإيمان بها.٣ــ التحريف، ومعناه خروج الصفات من معناها الصحيح إلى معان باطلة محرفة.

وهذا نص كلامه: "[مذهب السلف فيه] وقد عُلم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها، إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع ما أثبته من الصفات من غير إلحاد، لا في أسمائه ولا في آياته، فإن الله ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٣]، فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات، إثباتًا بلا تشبيه، وتنزيهًا بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ

(١) التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، ابن تيمية، ص ٧.
(٢) سورة الأعراف: آية ١٨٠ .
(٣) سورة فصلت: آية ٤٠ .

السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾(١)، ففي قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾(٢) رد للتشبيه والتمثيل، وقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾(٣) رد للإلحاد والتعطيل"(٤).

وسماه في موضع آخر بالتوحيد العملي الإرادي، فقال: "والتوحيد العملي الإرادي: أن لا يعبد إلا إياه فلا يدعو إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه ولا يخاف إلا إياه ولا يرجو إلا إياه، ويكون الدين كله لله، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ* لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ* وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ* وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ* وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ* لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾(٥)، وهذا التوحيد يتضمن أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه لا شريك له في الملك"(٦).

سادسًا: أثر هذا التقسيم على ابن أبي العز الحنفي:

تبع الشيخ ابن أبي العز الحنفي (صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، شارح الطحاوية، الشيخ ابن تيمية في التقسيم الثلاثي للتوحيد، فقال: "إن التوحيد يتضمن ثلاثة أَنْوَاعٍ: أَحَدُهَا: الْكَلَامُ فِي الصِّفَات. وَالثَّانِي: تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَبَيَانُ أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ. وَالثَّالِثُ: تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ، وَهُوَ اسْتِحْقَاقُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ"(٧).

إذًا فالتوحيد عند الشيخ ابن أبي العز الحنفي ينقسم إلى ثلاثة أقسام هي:

القسم الأول: توحيد الصفات.

القسم الثاني: توحيد الربوبية.

القسم الثالث: توحيد الإلهية.

---

(١) سورة الشورى: آية ١١ .

(٢) سورة الشورى: آية ١١ .

(٣) سورة الشورى: آية ١١ .

(٤) التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، ابن تيمية، ص ٧ –٨.

(٥) سورة الكافرون: الآيات ١ـــ ٦.

(٦) الصفدية، ابن تيمية، ٢/ ٢٢٨–٢٢٩.

(٧) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: مجموعة من العلماء، ص ٧٨.

والغريب في هذا الأمر أن الإمام الطحاوي -أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)- لم يقل بهذا التقسيم، صاحب الطحاوية، فهذا هو بيان ابتداع ابن أبي العز الحنفي عليه، فهذا نص الطحاوية دون شرح ابن أبي العز: "نَقُولُ فِي تَوحِيدِ اللهِ مُعْتَقِدِينَ بتَوفِيقِ الله : إنَّ اللهَ وَاحِدٌ لا شَرِيكَ لَهُ. وَلا شَيْءَ مِثْلُهُ، وَلا شَيْءَ يُعْجِزُهُ، وَلا إِلَهَ غَيْرُهُ. قَدِيمٌ بلا ابْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بلا انْتِهَاءٍ، لا يَفْنَى وَلا يَبِيدُ، وَلا يَكُونُ إلاَّ مَا يُرِيدُ، لا تَبْلُغُهُ الأَوْهَامُ وَلا تُدْرِكُهُ الأَفْهَامُ، وَلا يُشْبِهُ الأَنَامَ، حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، قَيُّومٌ لا يَنَامُ، خَالِقٌ بلا حَاجَةٍ، رَازِقٌ بلا مُؤْنَةٍ، مُمِيتٌ بلا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بلاَ مَشَقَّةٍ. مَازَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ، لَمْ يَزْدَدْ بكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ. وكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا، كَذَلِكَ لا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا، لَيْسَ بَعْدَ خَلْقِ الـــخَلْقِ اسْتَفَادَ اسْمَ الخَالِقِ، وَلا بإحْدَاثِهِ البَرِيَّةِ اسْتَفَادَ اسْمَ البَارِئ. لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبيَّةِ وَلا مَرْبُوبَ، وَمَعْنَى الخَالِقِ وَلا مَخْلُوقَ. وكَمَا أَنَّهُ مُحْيِي المَوْتَى بَعْدَمَا أَحْيَا، اسْتَحَقَّ هَذَا الاسْمَ قَبْلَ إحْيَائِهِمْ، كَذَلِكَ اسْتَحَقَّ اسْمَ الـــخَالِقِ قَبْلَ إنْشَائِهِمْ. ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ، وكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، لاَ يَحْتَاجُ إِلى شَيْءٍ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[١]، خَلَقَ الخَلْقَ بعِلْمِهِ، وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا، وَضَرَبَ لَهُمْ آجَالًا، وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وَعَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ بطَاعَتِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ. وكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِتَقْدِيرِهِ، وَمَشِيئَتِهِ، وَمَشِيئَتُهُ تَنْفُذُ"[٢].

فلم يقسم التوحيد الإمام الطحاوي لقسمة ثلاثية كما فعل ابن أبي العز، مما يتضح بجلاء أن هذا التقسيم حادث ولم يقل به إلا ابن أبي العز ومن قبله ابن تيمية حتى وصل للشيخ محمد ابن عبد الوهاب .

وهذا هو التقسيم الذي ذكره الشيخ ابن تيمية كما سيتضح الآن، وعلى كل حال فإن هذا التقسيم كان حادثًا في الإسلام، ووجد في القرن الثامن الهجري،

(١) سورة الشورى: آية ١١.

(٢) متن العقيدة الطحاوية، أبو جعفر الطحاوي، ص ٨ – ١١.

ولم يقل به أحد من الصحابة ولا التابعين ولا من تبعهم حتى القرن الثامن الهجري.

وقد تأثر الشيخ ابن أبي العز الحنفي بالشيخ ابن تيمية، وكان ينقل عنه ابن أبي العز الحنفي دون ذكر اسمه، وهذا الذي صرح به غير واحد من مشايخ السلفية المعاصرين، ومنهم الدكتور/ عبدالله بن عبد الرحمن بن عبدالله بن إبراهيم بن فهد بن حمد بن جبرين (المتوفى: ١٤٣٠هـ)، حيث ذكر تأثر ابن أبي العز الحنفي بالشيخ ابن تيمية ونقل عنه ولكن لم يستطع أن يُفصحَ بهذا، وذكر في جملة من كلامه أيضًا أن الشيخ الطحاوي الحنفي كان يُخالط الأشاعرة، وأن المصطلحات التي وردت في طيات الطحاوية تدل على تأثره بكلام الأشاعرة، وهذا نص كلامه ابن جبرين: "وهذا الشرح لابن أبي العز هو الذي طُبعَ في هذه المملكة، وذلك لأن علماء أهل السنة عرفوا ميله ووجدوه موافقًا ومناسبًا لما عليه أهل السنة، فلأجل ذلك طُبِعَ مرارًا، وكذلك أيضًا قُرر شرحه على الكليات في هذه البلاد، فيُقرأ في كلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود، وكذلك في جامعة أم القرى، وفي الجامعة الإسلامية، وقد اشتهر -والحمد لله- وعرفوا بذلك صحة معتقده، مع أن الطحاوي -عفا الله عنه- لم يُفصح بكثير مما كان عليه السلف الصالح، ولكن استنبطوا ذلك من بعض الإشارات وبعض الأماكن، وذكر أيضًا كلمات فيها شيء من الإجمال، ...وحمله على ذلك أن هذا قد اشتهر في زمانه عند الذين تسموا بأنهم أشعرية، ولكنه رحمه الله حملها على أحسن محامل، وقد أكثر في شرحه هذا من النقول عن شيخ الإسلام ابن تيمية، وعن محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١ هـ - ٧٥١ هـ)- من كتبهما الموجودة، ولكنه لا يتجرأ على الإفصاح بالنقل عنهما، لأنه قد اشتهر عند أهل زمانه ومن قبلهم ومن بعدهم أن ابن تيمية مُجسمٌ، وأنه ممن خالف معتقد الأشاعرة، وكذلك أيضًا تلميذه الذي سلك طريقته الإمام ابن القيم رحمهما الله، فهو ينقل عن كتبهما كثيرًا، ولكنه لا يُفصح باسميهما، فينقل

ذلك وكأنه كلام منه، ثم بعد ذلك يُضيفُ إليه عبارات وتصرفات، وكذلك أيضًا بعض الملاحظات وما أشبهها"[١].

ومن خلال هذا النص نستطيع أن نجزم أن الشيخ الطحاوي لم يقل بهذا الكلام البتة، ودليل ذلك أن نذكر نص كلامه عن التوحيد وأقسامه

سابعًا: بدعة التقسيم الرباعي للتوحيد:

ثم ظهر ابتداع لقسم جديد من أقسام التوحيد عند المدرسة السلفية المعاصرة يُسمونه القسم الرابع لأقسام التوحيد وهو: (توحيد الحاكمية أو توحيد الاتِّباع)، حتى ألف أحدهم وهو الدكتور: (محمد الأمين بن مزيد الموريتاني) مُؤَلفًا يحمل هذا الاسم (توحيد الاتِّباع)، فيقول مقررًا هذا التقسيم الجديد: "ومعنى توحيد الاتباع: أن لا نتبع إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن لا نطيع إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن لا نتحاكم عند التنازع إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن لا نطلب معرفة الدين إلا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو متبوعنا الأوحد، ونعني هنا بالاتباع الديني أي في شؤون الدين"[٢].

يقول الشيخ: (علي خضير الخضير) في كتابه المُسمى بــ(الوسيط): "وهل يجوز أن تقول إن التوحيد رباعي التقسيم وتضيف توحيد الحاكمية؟. يعنى إفراد الله بالحكم والاهتمام بتوحيد الحاكمية وإفراده بالذكر لم يوجد إلا في القرون الأخيرة وهو في القرن الثالث عشر الهجري ولم يفرد إفرادًا ظاهرًا إلا عندما وضعت القوانين الوضعية فجاء من يتكلم به وأن الحكم لله، وإن كانت بداياته ظهرت في عصر ابن تيمية وابن كثير في ياسق التتار. نقول

---

(١) الرياض الندية على شرح العقيدة الطحاوية، تأليف الإمام القاضي على بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، تعليق: الدكتور/ عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله الجبرين، خرج أحاديثه وعلق عليه وإعداد: الدكتور/ طارق بن محمد بن عبدالله الخويطر، ١/٥٥-٥٦.

(٢) توحيد الاتّباع اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أوامره ونواهيه، د. محمد الأمين بن مزيد الموريتاني، ص ٩.

هناك من له موقف خاص لمن يتكلم عن توحيد الحاكمية وهو مبني على انتقاد تيار معين، أو بناه على حوادث معينة لم يبنه على أنها مسألة علمية، وقد صدرت فتاوى بتبديع من أحدث توحيد الحاكمية. والصحيح أنه لابأس بأن نضيف توحيد الحاكمية، ولا يقال عنه مبتدع، والتبديع فيه خطأ، لأن الذين قسموا التوحيد تقسيمًا ثنائيًّا فجاء من قسمه ثلاثيًا، فإذًا هو مبتدع على هذا القول!" [١].

ويدافع عن هذا النوع من التوحيد أحد مُنظري جماعة تنظيم القاعدة (عصام البرقاوي) المُكنى بأبي محمد المقدسي منظر جماعة تنظيم القاعدة، هذا التقسيم الجديد فيقول: "مصطلح توحيد الحاكمية يُطلقه من يستعمله غالبًا على توحيد الله تعالى في التشريع، وهو من توحيد الله في العبادة، ...إذ كيف لا يكون كذلك وهو من أهم أبواب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، ألم يقل تبارك وتعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[٢]، فهذا أصل ملة الأنبياء وقطب رحى دعوتهم جميعًا، ومن أجله خلق الله الخلق فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٣]، أي يوحدونني بالعبادة، أو يعبدونني وحدي، ...وهو العروة الوثقى التي من تمسك بها نجا، ومن أعرض عنها فقد خسرَ وَضلَّ ضلالًا مبينًا، قال تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ

(١) الوسيط في شرح أول رسالة في مجموعة التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب وهي رسالة في التوحيد والشرك والكفر والنفاق، علي بن خضير الخضير، ص ١٥-١٦.

(٢) سورة النحل: آية ٣٦ .

(٣) سورة الذاريات: آية ٥٦ .

وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١)، وعلى هذا فلا شك أنه أعظم أبواب الدين وأصله، وأهم أركان العقيدة"(٢).

بل نجد أن أحد علماء المدرسة السلفية المعاصرة وهو الشيخ: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله المتوفى سنة ١٤٢٠ هـ، يورد رأيًا فحواه أن من أهل العلم من جعل التوحيد على قسمين، وليس ثلاثًا، فقال ما نصه: "وقد جعلها بعض أهل العلم نوعين، وأدخل توحيد الأسماء والصفات في توحيد الربوبية، ولا مشاحة في ذلك؛ لأن المقصود واضح في كلا التقسيمين"(٣).

والخلاصة في ذلك أن التقسيم الثنائي أو الثلاثي أو الرباعي لأقسام التوحيد لم نجد له مدلولًا في كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ولا في كلام الصحابة رضوان الله عنهم، ولا كلام السلف المتقدمين من القرون المنصوص عليهم في الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)(٤)، مما يجعل الخلاف سائغًا ولا يؤدي إلى الغلو والتكفير كما رأينا.

ثامنًا: مناقشة لمقسمي التوحيد:

(١)ـ ويمكن أن نرد على هذا التقسيم من خلال ما جاء في القرآن الكريم من آيات تُرادف بين لفظتي (الله والرب) دون تفرقة بينهما، مما يدل بجلاء على أن توحيد الألوهية قد تضمن توحيد الربوبية، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١ـ قال الله تعالى : ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾(٥).

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٥٦ .

(٢) تبصير العقلاء بتلبيسات أهل التجهّم والإرجاء، عصام طاهر البرقاوي (أبي محمد عاصم المقدسي)، ص ١٣-١٤.

(٣) الدروس المهمة لعامة الأمة، عبدالعزيز بن باز، ص ٩.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، فِي كِتَابِ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فِي بابِ فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ٥/٣ رقم ٣٦٥١، وأخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، فِي بَابِ فَضْلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ١٩٦٢/٤رقم ٢٥٣٣.

(٥) سورة الأنعام: آية ١٠٢ .

٢ــ قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(١).

٣ــ قال تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾(٢).

٤ــ قال تعالى: ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾(٣).

٥ــ قوله تعالى: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾(٤).

٦ــ قال تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾(٥).

٧ــ قال تعالى: ﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾(٦).

٨ــ قال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾(٧).

٩ــ قال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾(٨).

١٠ــ قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(٩).

١١ــ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾(١).

---

(١) سورة الأعراف: آية ٥٤ .

(٢) سورة يونس: آية ٣ .

(٣) سورة يونس: آية ٣٢ .

(٤) سورة الكهف: آية ٣٨ .

(٥) سورة فاطر: آية ١٣ .

(٦) سورة الصافات: آية ١٢٦ .

(٧) سورة الزمر: آية ٦ .

(٨) سورة غافر: آية ٦٢.

(٩) سورة غافر: آية ٦٤.

١٢ــ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٢).

١٣ــ قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾(٣).

هذه الآيات تدل على عدم وجود فرق بين اللفظتين (الله والرب)، وجاءت تفيد ذات المعنى المراد.

ثم جاءت آيات تخالف ما قرره الشيخ ابن تيمية والشيخ ابن أبي العز الحنفي، والشيخ محمد بن عبدالوهاب، فقد ذهبوا إلى أن المشركين يقرون بتوحيد الربوبية، كما سبق بيانه، ولو كان أهل الشرك يقرون بذلك فلماذا لم يُسلموا؟!.

بل جاءت الآيات تدل على نقيض هذا القول، ومنها قوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾(٤)، فجاء لفظة (ربكم) هنا بمعنى إلهكم، ودليل ذلك ما جاء في سورة القصص في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾(٥).

(٢)ــ ادعاؤهم أن المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، فهم يعرفون أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يرزقهم، وأنه هو الذي أحياهم، وهو الذي يميتهم، وهو الذي ينفع، وهو الذي يضر، وهو الذي يشفي.... .

والجواب عن هذا الادعاء:

لا بد أن نذكر تعريف (الرَّبّ) في اللغة: جاء في لسان العرب: "الرَّبُّ: هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، هُوَ رَبُّ كلِّ شيءٍ أَي مالكُه، وَلَهُ الرُّبوبيَّة عَلَى جَمِيعِ الخَلْق، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهُوَ رَبُّ الأَرْباب، ومالكُ المُلوكِ والأَمْلاكِ. وَلَا يُقَالُ الربُّ فِي غَيرِ اللهِ، إِلّا بالإِضافةِ، قَالَ: وَيُقَالُ الرَّبُّ، بالأَلِف وَاللَّامِ، لغيرِ اللهِ؛ وَقَدْ قَالُوهُ فِي

---

(١) سورة فصلت: آية ٣٠ .
(٢) سورة الأحقاف: آية ١٣ .
(٣) سورة الطلاق: آية ١ .
(٤) سورة النازعات: آية ٢٤.
(٥) سورة القصص: آية ٣٨.

الجاهلية للمَلِكِ، ...وربُّ كلِّ شيءٍ: مالكه ومُستَحِقُّه؛ وَقِيلَ: صاحبُه. ويُقَالُ: فلانٌ رَبُّ هَذَا الشيءِ أَي مِلْكُه لَهُ. وكُلُّ مَنْ مَلَك شَيْئًا، فَهُوَ رَبُّه. يُقَالُ: هُوَ رَبُّ الدابةِ، وربُّ الدارِ، وفلانٌ رَبُّ البيتِ"(١).

وجاء أيضًا في معجم مقاييس اللغة: "فَالرَّبُّ: الْمَالِكُ، وَالْخَالِقُ، وَالصَّاحِبُ. وَالرَّبُّ: الْمُصْلِحُ لِلشَّيْءِ. يُقَالُ رَبَّ فُلَانٌ ضَيْعَتَهُ، إِذَا قَامَ عَلَى إِصْلَاحِهَا. وَهَذَا سِقَاءٌ مَرْبُوبٌ بِالرُّبِّ. وَالرُّبُّ، وَالرَّبُّ: الْمُصْلِحُ لِلشَّيْءِ. وَاللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الرَّبُّ؛ لِأَنَّهُ مُصْلِحُ أَحْوَالِ خَلْقِهِ"(٢).

لفظ الجلالة (الله)، جاء في القاموس المحيط: "أَلَهَ إلاهَةً وأُلُوهَةً وأُلُوهِيَّةً: عَبَدَ عِبادَةً، ومنه لَفْظُ الجلالة، واخْتُلِفَ فيه على عِشْرينَ قَوْلًا ذَكَرْتُها في المباسِيطِ، وأصَحُّها أنه عَلَمٌ غيرُ مُشْتَقٍّ، وأصْلُه إلهُ، كفِعالٍ، بمعنى مَأْلُوهٍ. وكلُّ ما اتُّخِذَ مَعْبُودًا إلهٌ عند مُتَّخِذِهِ"(٣).

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة: "الله: علم على الذَّات العليَّة الواجبة الوجود، الجامعة لصفات الألوهيّة، ولذا لا يجوز أن يتسمَّى به أحد، وسائر الأسماء قد يتسمَّى بها غيرُه، وهو أوّل أسمائه سبحانه وأعظمها، وينطق باللاّم المفخَّمة ما لم تسبقه الكسرة أو الياء، ويذكر عادة مقرونًا بألفاظ تدلّ على الإجلال مثل: الله تعالى، الله سبحانه وتعالى"(٤).

وعلى ذلك فيراد بالرب والإله الله سبحانه وتعالى، الله = الرب، وقد يراد منهما آلهة غير حقيقة، لكن في الأصل المراد باللفظتين حقيقة الله سبحانه وتعالى.

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ٣٩٩/١.

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣٨١/٢-٣٨٢.

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص ١٢٤٢.

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، ١١٤/١.

(٣)ــ بالنسبة للآيات التي ذكروها في التدليل على صحة تقسيمهم، ومنها آية سورة العنكبوت: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾(١).

فإن المراد من الآية لا يخرج عن ثلاثة معان:

المعنى الأول: أَنْ يَكُونَ كَلَامًا مُعْتَرِضًا فِي أَثْنَاءِ كَلَام كَأَنَّهُ قَالَ: فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ فَذَكَرَ فِي أَثْنَاءِ هَذَا الْكَلَامِ الْحَمْدُ لِذِكْرِ النِّعْمَةِ.

المعنى الثاني: أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْهُ كَلَامًا مُتَّصِلًا، وَهُوَ أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ بِأَنَّ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ وَيَعْتَرِفُونَ وَلَا يَعْمَلُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ وَتَعْمَلُ فَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُونَ بِكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ أَنَّ الْحَمْدَ كُلَّهُ لِلَّهِ فَيَحْمَدُونَ غَيْرَ اللَّهِ عَلَى نِعْمَةٍ هِيَ مِنَ اللَّهِ.

المعنى الثالث: أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّهُ مِنَ اللَّهِ وَيَقُولُونَ بِإِلَهِيَّةِ غَيْرِ اللَّهِ فَيَظْهَرُ تناقض كلامهم وتهافت مذهبهم فقل الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ظُهُورِ تَنَاقُضِهِمْ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ هَذَا التَّنَاقُضَ أَوْ فَسَادَ هَذَا التَّنَاقُضِ"(٢).

(٤)ــ بيان خطأ أصحاب تقسيم التوحيد الثلاثي ونفي توحيد المشركين:

ويتجلى هذا من خلال هاتين الآيتين:

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾(٣).

فأين توحيد الربوبية عند المشركين هنا؟!، إنهم يقولون (آلِهَتِنَا)، ولو كان الأمر كما يزعمون لقالوا أربابنا، ومع ذلك لم يقروا بإله ولا برب، بل كانوا يقصدون أصنامهم التي اتخذوها آلهة تُعبدُ من دون الله تعالى.

ليس هذا فحسب بل نلحظ في الآية ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ فنسبوا النفع والضر إلى الآلهة التي يعبدونها من دون الله، فلم

---

(١) سورة العنكبوت: آية ٦٣ .

(٢) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ٢٥/٧٤ – ٧٥.

(٣) سورة هود: الآيتان ٥٣ ــ ٥٤ .

يقروا بكون الرزق والنفع والضر بيد الله كما زعم أرباب تقسيم التوحيد من أن المشركين كانوا يقرون بأن النفع والضر والرزق والموت بيد الله تعالى، ولا كما زعم أحدهم أن المشركين قديمًا كانوا أكثر توحيدًا من المسلمين الحاليين، فأين الدليل على ذلك والآية صريحة هنا؟!.

يقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) رحمه الله تعالى تعليقًا على هذه الآية: "أَيْ نَقُولُ إِنَّكَ مَمْسُوسٌ مِنْ بَعْضِ آلِهَتِنَا، وَجَعَلُوا ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ بَعْضِ الْآلِهَةِ تَهْدِيدًا لِلنَّاسِ بِأَنَّهُ لَوْ تَصَدَّى لَهُ جَمِيعُ الْآلِهَةِ لَدَكُّوهُ دَكًّا"(١).

إقرار أهل الشرك بأن الدهر هو الذي يتسبب في إهلاكهم:

ومن ذلك ما أقروه وسجله القرآن عليهم، قال تعالى : ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾(٢)، فلم يقروا هنا بأن الموت والحياة بيد الله، كما قال ابن تيمية وابن عبدالوهاب وغيرهما، والآية لا تحتاج إلى تأويل فهي واضحة وضوح الشمس في كبد السماء.

ومع ذلك فإن الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبا جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) رحمه الله تعالى قد عَلق مفسرًا على هذه الآية فقال: "وقوله (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ) يقول تعالى ذكره مخبرًا عن هؤلاء المشركين أنهم قالوا: وما يهلكنا فيفنينا إلا مرّ الليالي والأيام، وطول العمر، إنكارًا منهم أن يكون لهم ربّ يفنيهم ويهلكهم"(٣).

ويفسر هذه الآية الشيخ السلفي (عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المتوفى: ١٣٧٦هـ) رحمه الله فيقول: "﴿وَقَالُوا﴾ أي: منكرو البعث ﴿مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ﴾ أي: إن هي إلا عادات وجري على رسوم الليل والنهار يموت أناس ويحيا أناس وما مات فليس براجع إلى الله ولا مجازى بعمله. وقولهم هذا صادر عن غير

(١) التحرير والتنوير، «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الطاهر بن عاشور، ٩٨/١٢.

(٢) سورة الجاثية: الآية ٢٤ .

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر،٧٨/٢٢.

علم ﴿إِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ﴾ فأنكروا المعاد، وكذبوا الرسل الصادقين من غير دليل دلهم على ذلك ولا برهان. إن هي إلا ظنون واستبعادات خالية عن الحقيقة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(١)، وهذا جراءة منهم على الله، حيث اقترحوا هذا الاقتراح وزعموا أن صدق رسل الله متوقف على الإتيان بآبائهم، وأنهم لو جاءوهم بكل آية لم يؤمنوا إلا إن تبعتهم الرسل على ما قالوا، وهم كذبة فيما قالوا وإنما قصدهم دفع دعوة الرسل لا بيان الحق"(٢).

ويقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين: "قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ . المراد بذلك المشركون الموافقون للدهرية بضم الدال على الصحيح عند النسبة؛ لأنه مما تغير فيه الحركة والمعنى وما الحياة والوجود إلا هذا؛ فليس هناك آخرة، بل يموت بعض ويحيا آخرون، هذا يموت فيدفن وهذا يولد فيحيا، ويقولون: إنها أرحام تدفع، وأرض تبلع، ولا شيء سوى هذا. قوله: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ أي: ليس هلاكنا بأمر الله وقدره، بل طول السنين لمن طالت مدته، والأمراض والهموم والغموم لمن قصرت مدته؛ فالمهلك لهم هو الدهر"(٣).

وهذا تفسير آخر لمجموعة من علماء التفسير بالسعودية فسروا هذه الآية فقالوا: "وقال هؤلاء المشركون: ما الحياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها، لا حياة سواها؛ تكذيبًا منهم بالبعث بعد الممات، وما يهلكنا إلا مرُّ الليالي والأيام وطول العمر؛ إنكارًا منهم أن يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم، وما لهؤلاء المشركين من علم بذلك، ما هم إلا يتكلمون بالظن والوهم والخيال"(٤).

---

(١) سورة الجاثية: الآية ٢٥ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص ٧٧٧ – ٧٧٨.

(٣) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان،١٠/ ٨٢٤ – ٨٢٥.

(٤) التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ص ٥٠١.

فلم نجد هنا أي كلام عن توحيد الربوبية الذي قالوا به آنفا، فهل هذه طائفة مشركة خلاف الطائفة الأخرى؟!، بل نزلت في مشركي قريش، وهذا الذي جزم به غير واحد من المفسرين منهم شيخ المفسرين الإمام الطبري رحمه الله تعالى قال: "عن قتادة :﴿قَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾: أي لعمري هذا قول مشركي العرب"(١).

وهناك آية أخرى تدل على أن المشركين كانوا لا يقرون بتوحيد الربوبية بل كانوا يشركون به، قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾(٢)، وهذه الآية نزلت في مشركي قريش أيضًا، وهم في اعتقادهم أن هذه الآلهة هي التي ترزقهم، وترسل لهم المطر، يقول الإمام القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ): "قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾، يَعْنِي مُشْرِكِي قُرَيْشٍ. وَ" عِزًّا" مَعْنَاهُ أَعْوَانًا وَمَنَعَةً يَعْنِي أَوْلَادًا. وَالْعِزُّ الْمَطَرُ الْجُودُ"(٣).

والآية الأخرى التي تدل دلالة واضحة على إقرار المشركين أنفسهم بعدم بعثهم بعد الموت، قال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾(٤).

فهل أيضًا غير المشركين الذين كانوا يسكنون مكة وقت بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، هذا إقرار منهم بكفرهم بالبعث، وأيضًا الآيات الأخرى التي تشهد بصحة ما ذكرناه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾(٥)، فإن قال قائل: هذه الآيات لا علاقة لها بمشركي قريش، قلنا له: هذا كلام غير صحيح، فالدليل القاطع هو الآية التي تلي هاتين الآيتين هي:

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٧٧/٢٢.
(٢) سورة مريم: الآية ٨١ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، ١٤٨/١١.
(٤) سورة التغابن: الآية ٧ .
(٥) سورة النمل: الآيتان ٦٧ – ٦٨ .

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾(١)، فمن المخاطب بهذه الآية؟!، إنه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى ذلك بطل الاعتراض الذي يعترض به من يريد جدالًا.

ذكر الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تفسير هذه الآيات فقال: "قَوْلُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ مُنْكِرِي الْبَعْثِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ: أَنَّهُمُ اسْتَبْعَدُوا إِعَادَةَ الْأَجْسَادِ بَعْدَ صَيْرُورَتِهَا عِظَامًا وَرُفَاتًا وَتُرَابًا، ثُمَّ قَالَ: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أَيْ: مَا زِلْنَا نَسْمَعُ بِهَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا، وَلَا نَرَى لَهُ حَقِيقَةً وَلَا وُقُوعًا"(٢).

أيضًا الحوار الذي دار بين سيدنا يوسف عليه السلام وبين صاحبيه في السجن، قال تعالى: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٣).

والمعنى كما ذكر الشيخ البيضاوي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، في تفسيره لهذه الآيات فقال: "خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ المتوحد بالألوهية. الْقَهَّارُ الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره. ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ﴾، خطاب لهما ولمن على دينهما من أهل مصر. ﴿إِلَّا أَسْماءً سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ مَّآ أَنْزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ﴾ أي إلا أشياء باعتبار أسام أطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكأنكم لا تعبدون إلا الأسماء المجردة، والمعنى: أنكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الألوهية عقل ولا نقل آلهة، ثم أخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها. ﴿إِنِ الْحُكْمُ﴾ ما الحكم في أمر العبادة. ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾ لأنه المستحق لها بالذات من حيث إنه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك لأمره، أَمَرَ على لسان أنبيائه، ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ الذي دلت عليه الحجج.

---

(١) سورة النمل: الآية ٧٠ .

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، المحقق: سامي بن محمد سلامة، ٦/٢٠٨.

(٣) سورة يوسف: الآيتان ٣٩ - ٤٠ .

ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ الحق وأنتم لا تميزون المعوج عن القويم، وهذا من التدرج في الدعوة وإلزام الحجة، بين لهم أولًا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة، ثم برهن على أن ما يسمونها آلهة ويعبدونها لا تستحق الإلهية فإن استحقاق العبادة إما بالذات وإما بالغير وكلا القسمين منتف عنها، ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره ولا يرتضي العلم دونه. وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ فيخبطون في جهالاتهم"(١).

وأيضًا آيات سورة الواقعة، قال تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمُغْرَمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾(٢).

ويعلق عليها الشيخ أحمد مصطفى المراغي المتوفى سنة ١٣٧١ هـ رحمه الله فيقرر حقيقة توحيد الألوهية، فالله تعالى هو بيده الخلق والرزق والشراب، وهذا نص تفسيره: "بعد أن ذكر الأزواج الثلاثة، وبين مآل كل منها، وفصل ما يلقاه السابقون وأصحاب الميمنة من نعيم مقيم، وذكر ما يلقاه أصحاب المشأمة من عذاب لازب فى حميم وغساق، وذكر أن ذلك إنما نالهم، لأنهم أشركوا بربهم وعبدوا معه غيره وكذبوا رسله، وأنكروا البعث والجزاء أردف ذلك إقامة الأدلة على الألوهية من خلق ورزق لطعام وشراب، وأقام الدليل على البعث والجزاء، ثم أثبت الأصل الثالث وهو النبوة فيما بعد"(٣).

ويقرر الشيخ السعدي ذات الحقيقة تعليقًا على هذه الآيات فيقول: "وهذا امتنان منه على عباده، يدعوهم به إلى توحيده وعبادته والإنابة إليه، حيث أنعم عليهم بما يسره لهم من الحرث للزروع والثمار، فتخرج من ذلك من الأقوات والأرزاق والفواكه، ما هو من ضروراتهم وحاجاتهم ومصالحهم،

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ١٦٤/٣.

(٢) سورة يوسف: الآيات ٦٣ – ٦٧.

(٣) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ١٤٥/٢٧.

التي لا يقدرون أن يحصوها، فضلًا عن شكرها، وأداء حقها، فقررهم بمنته"(١).

فإن التوحيد هنا المعروف هو إخلاص العبادة لله تعالى، ولا يوجد توحيد ربوبية أقر به غير المسلمين، بل هذا محض تقسيم لم يرد على لسان نبي، ولا جاء ذكره في القرآن الكريم، ولم نسمع أن أحدًا من الصحابة قال به، ولا انتهجه السلف الصالح المنصوص عليهم في الحديث كما تقدم، وقد بدأ بهذا التقسيم ابن تيمية وتبعه ابن أبي العز الحنفي ومن جاء بعدهما.

والإمام الأشعري أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ) هو حنبلي ولم يقل بهذا التقسيم الذي قال به الشيخ ابن تيمية ولا من جاء بعده، فهو أسبق منهم للمذهب الحنبلي، كما هو معلوم للجميع، وكما جزم بهذا في كتابه الإبانة فقال: "قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله ربنا عز وجل، وبسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وما روي عن السادة، الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته قائلون، ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفهم"(٢).

ولم يقل بالتقسيم الثلاثي الذي قال به ابن تيمية، وبالبحث أيضًا في الكتب التي نقلت عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى لم نجد تقسيمًا للتوحيد بهذا الزعم الذي قد انتشر بعده بعدة قرون.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ص ٨٣٥.

(٢) الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، ص ٢٠.

تاسعًا: الذي عليه اعتقاد السادة الأشاعرة:

١ـ أن الله واحد في ذاته لا قسيم له، وتنفي أن يكون الله تعالى ذاته مركبة من جواهر أو أعراض، أو من أجزاء، أو أن تكون ذاته سبحانه وتعالى قابلة للتركيب، أو الانقسام.

٢ـ وأنه واحد في صفاته لا شبيه له، والمعنى: لا ثاني له في صفاته القائمة به كالقدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، فهذه الصفات لا تتعدد، فقدرته واحدة، وإرادته واحدة، وعلمه واحد، وكذا الحياة، فلا يتعدد بتعدد الصفات، إذ ليست غيرًا حتى يتعدد، ولا عينًا، ولا يتحد، ولا يتكثر بتكثر صفاته"(١)، ولا يشابهه أحد من المخلوقين في صفاته.

٣ـ وأنه واحد في أفعاله لا شريك له(٢)، والمعنى: تفرد الله بأفعال لا يشاركه فيها الخلق، فلا يمكن لأحد من خلقه أن يُشابهه في أفعاله تعالى.

وقد قال بهذا ابن تيمية رحمه الله، وهذا نص كلامه: "[مذهب السلف فيه] وقد عُلم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها، إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع ما أثبته من الصفات من غير إلحاد، لا في أسمائه ولا في آياته، فإن الله ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا

---

(١) شرح نظم العقيدة النورية في التوحيد، الحسين بن محمد الورثيلاني المتوفى سنة ١١٩٣ هـ، المحقق: البشير برمان، ص ٢٤٠ - ٢٤١.

(٢) مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري إمام أهل السنة، محمد بن الحسن بن فورك ت ٤٠٦ هـ، تحقيق: أ.د/ أحمد عبدالرحيم السايح، ص ٥٥، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني البصري ت ٤٠٣ هـ، تحقيق الإمام: محمد زاهد الكوثري، ص ٣٢ -٣٣، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، للحافظ الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين ابن علي بن موسى البيهقي ت ٤٥٨ هـ، علّقَ عليه: الشيخ/ عبدالرزاق عفيفي، الشيخ/ عبدالرحمن بن صالح المحمود، تحقيق: أبو عبدالله أحمد بن إبراهيم أبو العينين، ص ٥٥، الشامل في أصول الدين، إمام الحرمين عبدالملك الجويني ت ٤٧٨ هـ، تحقيق: أ.د/ علي سامي النشار، فيصل بدير عُون، سهير محمد مختار، ص ٣٤٧ وما بعدها.

كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٢]، فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات، إثباتًا بلا تشبيه، وتنزيهًا بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[٣]، ففي قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[٤] رد للتشبيه والتمثيل، وقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[٥] رد للإلحاد والتعطيل"[٦].

بل كانوا في قريش لا يعرفون التوحيد قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ودليل ذلك أن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه كان موحدًا، ولذا يقول عنه (ابن كثير) وَمِنْ شِعْرِهِ فِي التَّوْحِيدِ:

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ ... لَهُ الْأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْرًا ثِقَالًا
دَحَاهَا فَلَمَّا اسْتَوتْ شَدَّهَا ... سَوَاءً وَأَرْسَى عَلَيْهَا الْجِبَالَا
وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ ... لَهُ الْمُزْنُ تَحْمِلُ عَذْبًا زُلَالَا
إِذَا هِيَ سِيقَتْ إِلَى بَلْدَةٍ ... أَطَاعَتْ فَصَبَّتْ عَلَيْهَا سِجَالَا
وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ ... لَهُ الرِّيحُ تُصْرَفُ حَالًا فَحَالَا

وقد قال أيضًا:

أَربٌّ واحدٌ أم أَلفُ ربٍّ ... أدينُ إذا تقسَّمتِ الأمورُ
عَزلْتُ اللّاتَ وَالعُزَّى جَميعًا ... كَذَلِكَ يَفْعَلُ الجَلْدُ الصَّبُورُ

---

(١) سورة الأعراف: آية ١٨٠ .
(٢) سورة فصلت: آية ٤٠ .
(٣) سورة الشورى: آية ١١ .
(٤) سورة الشورى: آية ١١ .
(٥) سورة الشورى: آية ١١ .
(٦) التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، ابن تيمية، ص ٧ –٨.

فَلَــا الْعُــزَّى أَدِيــنُ وَلَــا ابْنَتَيْهَــا ... وَلَــا صــنميْ بنــي عمــروٍ أزورُ
وَلَــا غُنْمًــا أَدِيــنُ وَكَــانَ رَبًّــا ... لَنَــا فِــي الــدَّهْرِ إِذْ حِلْمِــي يَسِــيرُ
عَجِبْــتُ وَفِــي اللَّيَــالِي مُعْجِبَــاتٌ ... وَفِــي الْأَيَّــامِ يَعْرِفُهَــا الْبَصِــيرُ
بِــأَنَّ اللَّــهَ قَــدْ أَفْنَــى رِجَالًــا ... كَثِيــرًا كَــانَ شَــأْنَهُمُ الْفُجُــورُ
وَأَبْقَــى آخَــرِينَ بِبِــرِّ قَــوْمٍ ... فَيَرْبِــلُ مِــنْهُمُ الطِّفْــلُ الصَّــغِيرُ
وَبَيْنَــا الْمَــرْءُ يَعْثُــرُ ثَــابَ يَوْمًــا ... كَمَــا يتــروَّحُ الغصــنُ النضــيرُ
وَلَكِــنْ أَعْبُــدُ الــرَّحْمَنَ رَبِّــي ... لِيَغْفِــرَ ذَنْبِــيَ الــرَّبُّ الْغَفُــورُ
فَتَقْــوَى الله رَبِّكُــمُ احْفَظُوهَــا ... مَتَــى مَــا تَحْفَظُوهَــا لَــا تَبُــورُوا
تَــرَى الْــأَبْرَارَ دَارُهُــمُ جِنَــانٌ ... وَلِلْكُفَّــارِ حَامِيَــةٌ سَــعِيرُ
وَخِــزْيٌ فِــي الْحَيَــاةِ وَإِنْ يَمُوتُــوا ... يُلَــاقُوا مَــا تَضِــيقُ بِــهِ الصُّــدُورُ(١)

والذي يتضح من هذه القصيدة أن الناس في مكة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرفوا التوحيد أصلًا، والذين كانوا هناك وقتها كانوا أفرادًا يسيرة، منهم: زيد بن عمرو بن نفيل، وكانوا على الحنفية ملة إبراهيم عليه السلام، ويشهد لهذا ما رواه الإمام البخاري في صحيحه:

١ــ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيَ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ بِأَسْفَلِ بَلْدَحٍ، قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوَحْيُ، فَقُدِّمَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُفْرَةٌ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ زَيْدٌ: إِنِّي لَسْتُ آكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ عَلَى أَنْصَابِكُمْ، وَلاَ آكُلُ إِلَّا مَا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَأَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو كَانَ يَعِيبُ عَلَى قُرَيْشٍ ذَبَائِحَهُمْ، وَيَقُولُ: الشَّاةُ خَلَقَهَا اللَّهُ، وَأَنْزَلَ لَهَا مِنَ السَّمَاءِ المَاءَ، وَأَنْبَتَ لَهَا مِنَ الأَرْضِ، ثُمَّ تَذْبَحُونَهَا عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ، إِنْكَارًا لِذَلِكَ وَإِعْظَامًا لَهُ"(٢).

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، المحقق: علي شيري، ٣٠٠/٢ – ٣٠١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتاب مَنَاقِبِ الأَنْصَارِ، بَابِ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، ٤٠/٥ رقم ٣٨٢٦.

٢ــ عَنْ ابْنِ عُمَرَ: " أَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ يَسْأَلُ عَنِ الدِّينِ، وَيَتْبَعُهُ، فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ اليَهُودِ فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِمْ، فَقَالَ: إِنِّي لَعَلِّي أَنْ أَدِينَ دِينَكُمْ، فَأَخْبِرْنِي، فَقَالَ: لاَ تَكُونُ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، قَالَ زَيْدٌ مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، وَلاَ أَحْمِلُ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ شَيْئًا أَبَدًا، وَأَنَّى أَسْتَطِيعُهُ فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ، قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا، قَالَ زَيْدٌ: وَمَا الحَنِيفُ؟ قَالَ: دِينُ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا، وَلاَ نَصْرَانِيًّا، وَلاَ يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ، فَخَرَجَ زَيْدٌ فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ النَّصَارَى فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَقَالَ: لَنْ تَكُونَ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ، قَالَ: مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ، وَلاَ أَحْمِلُ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ، وَلاَ مِنْ غَضَبِهِ شَيْئًا أَبَدًا، وَأَنَّى أَسْتَطِيعُ فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ، قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا، قَالَ: وَمَا الحَنِيفُ؟ قَالَ: دِينُ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا، وَلاَ يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ، فَلَمَّا رَأَى زَيْدٌ قَوْلَهُمْ فِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ خَرَجَ، فَلَمَّا بَرَزَ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنِّي عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ"(١).

فهذا إقرار من زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه بأنه كان موحدًا يقر بالتوحيد الخالص، ولم يذكر نوعين من التوحيد كما زعم من زعم، وأن الناس في مكة كانوا يعبدون الأصنام ويتقربون إليها، ويذبحون لها، وقد اعتزلهم فلم يأكل من ذبائحهم، ولم يسجد لأصنامهم، ولم يتقرب من أوثانهم، فأين التوحيد الذي قال به الشيخ ابن تيمية، والشيخ ابن أبي العز الحنفي، والشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومن جاء بعده؟!.

وختامًا: ابن تيمية ينفي التوحيد جملة عن المشركين:

ومن أعجب ما ترى أيضًا أن ابن تيمية رحمه الله قد أورد جملة من الآيات وبعدها قال هذا ليس هو التوحيد، وهذا نص كلامه: "وَأَمَّا قَوْلُ الْقَائِلِ: التَّوْحِيدُ لَا لِسَانَ لَهُ وَالْأَلْسِنَةُ كُلُّهَا لِسَانُهُ فَهَذَا أَيْضًا مِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْوَحْدَةِ وَهُوَ مَعَ كُفْرِهِ قَوْلٌ مُتَنَاقِضٌ فَإِنَّهُ قَدْ عُلِمَ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ أَنَّ لِسَانَ الشِّرْكِ لَا يَكُونُ لَهُ لِسَانُ التَّوْحِيدِ وَأَنَّ أَقْوَالَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿لَا تَذَرُنَّ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتاب مَنَاقِبِ الأَنْصَارِ، بَابِ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، ٥/٤٠ – ٤١ رقم ٣٨٢٧.

آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[١]، وَالَّذِينَ قَالُوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[٢]، وَالَّذِينَ قَالُوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[٣]، ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾[٤]، وَالَّذِينَ قَالُوا: ﴿حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾[٥]، وَنَحْوَ هَؤُلَاءِ لَيْسَ هَذَا هُوَ لِسَان التَّوْحِيدِ"[٦].

فهذا نص كلام ابن تيمية (ليس هذا هو لسان التوحيد)، ومعنى ذلك نفي التوحيد عن المشركين، وبالتالي بطل ما قالوه من نحو قولهم إن المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، فهل هذا هو التناقض أم ماذا؟!.

---

(١) سورة نوح: الآية ٢٣ .
(٢) سورة الزمر: الآية ٣ .
(٣) سورة هود: الآية ٥٣ .
(٤) سورة هود: الآية ٥٤ .
(٥) سورة الأنبياء: الآية ٦٨.
(٦) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٣٤٩/٢.

الخاتمة

لقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الرسالة بيضاء نقية، نهى عن الغلو والتشدد، وعن الابتداع في الدين، وحث على جمع شتات الأمة، وعدم تمزيقها، ومما تجدر الإشارة إليه أن الغلو في الدين له عواقب وخيمة، يترتب عليها التكفير، وتفضيل المشركين على كثير من المسلمين كما جزم غير واحد من أرباب المدرسة السلفية المعاصرة، وقد أوردنا ذلك بين دفتي البحث، والخطر الدائر حاليًا في نظرة الدونية من قِبلِ هذا الفريق الذي ينظر إلى المدارس الكلامية نظرة دونية بسبب تقسيم التوحيد، رُغم عدم وجود الحق معهم، وظهور هذا التقسيم الثلاثي بعد قرون كثيرة من ذهاب الصحابة والسلف الصالح المنصوص عليهم في الحديث.

ومما لا شك فيه أن هذا نتاج لثقافات مغلوطة ترتب عليها التشدد والتعصب للرأي أو الشيخ مما كان سببًا للغلو والتسرع في التكفير، لقد جاء الشيخ ابن أبي العز الحنفي ووضع هذا التقسيم الثلاثي للتوحيد، متأثرًا بالشيخ ابن تيمية؛ الذي قال إن المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وتبعه في ذلك الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأقام الأدلة على ذلك، وفضل مشركي قريش على كثيرين من أهل القبلة ممن يخالفون منهجه، وزعم أيضًا أن المشركين في زماننا يسمون التوحيد بالاعتقاد، ولا ندري على أي دليل قد استند في هذه الجرأة العجيبة، ومن هنا كانت أقوال مدرسته توافق قوله ومعتقده، والدين الإسلامي لا يعتد بالغلو ولا التكفير طالما لم يقم الدليل الصحيح على ذلك، وهذه المدرسة بحاجة إلى أن تعيد النظر في هذا الغلو المنهي عنه، والذي يُسهم بكل تأكيد في ظهور الجماعات المتشددة التي ترمي غيرها بالتكفير، والخروج عن الملة بسبب تراكمات فكرية لا تقوم على دليل ولو ضعيف حتى.

وجاءت الآيات القرآنية تبرهن على خطأ هذا التقسيم وبخاصة زعمهم أن المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية لله تعالى، وهذا يمثل خطرًا كبيرًا فإن التوحيد لا يتجزأ أصلًا، ولو كانوا كذلك فلماذا لم يدخلوا في الإسلام؟!، بل قد أنكروا البعث والنشور كما في قولهم: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا

يَظُنُّونَ﴾ تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾(١)، فلو أقروا بتوحيد الربوبية؛ ما نفوا البعث، وأن الذي خلقهم هو القادر على أن يبعثهم، لكن كان الدفاع عن هذا التقسيم الجديد تبناه ابن أبي العز الحنفي الذي زاد في شرحه للطحاوية على صاحبها الإمام أبي جعفر الطحاوي المصري بهذا التقسيم الثلاثي، ومن خلال هذه الزيادة التي تبنتها المدرسة السلفية المعاصرة أيضًا خرج غير واحد من هذه المدرسة يرمي غيره بالشرك في التوحيد، على غرار من سلفه في هذه المدرسة.

وقد غاب عن أفهام البعض أن الرب يأتي بمعنى الإله، والتحاكم في ذلك لمفردات اللغة، ودلت آيات القرآن على ذلك في كثير من المواضع.

وقد يتبادر هذا السؤال المُكرر: هل هذا التوحيد المسمى بتوحيد الربوبية للمشركين قد قال به أحد من الصحابة أو التابعين أو من تبعهم؟.

وإذا كان الجواب: لا، فإننا لم نقرأ هذا عنهم.

والسؤال الثاني: هل غاب عن علمهم هذا التقسيم حتى جاء ابن تيمية وابن أبي العز الحنفي فقالا به؟

والجواب أيضًا: لا، فإن الصحابة لم يصل أحدنا إلى رتبة علمهم، وإن ابن تيمية وابن أبي العز الحنفي قد قالا بذلك رُغم وضوح النصوص الدالة على أن توحيد الربوبية داخل ضمن توحيد الألوهية، أضف إلى ذلك أن متن الطحاوية كما ذكرنا واضح فلم ترد فيه هذه التسمية أصلًا، فأدخل في الشرح ما ليس في المتن.

وتوحيد الله تعالى أجمعت الأمة عليه سلفًا وخلفًا دون جدال ولا خلاف، مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾(٢).

---

(١) سورة الجاثية: آية ٢٤ .

(٢) سورة البينة: آية ٥ .

ولعل أن أصحاب المدرسة الأشعرية قد التزموا بما أقره القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾(١)، فهو واحد في ذاته، واحد في أفعاله، واحد في صفاته سبحانه وتعالى.

ومن هنا: أوجه هذا النداء الرباني لهذه المدرسة ولغيرها بضرورة عدم الاختلاف والعمل على وأد الفتنة، وعدم التعصب المقيت، وعدم الغلو والتشدد، فهذا أمر من الله تعالى بضرورة الاعتصام وعدم التفرق، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾(٢)، وهذا أمر آخر بضرورة طاعة الله تعالى، والتزام أمر نبيه صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(٣)، وهذا أمر ثالث أن نحتكم للكتاب والسنة إذا وقع الخلاف في مسائل الشرع الحنيف، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾(٤).

ولقد عقب الإمام إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) رحمه الله، على هذه الآية فقال: "إِذْ رَدُّ التَّنَازُعِ إِلَى الشَّرِيعَةِ، فَلَوْ كَانَتِ الشَّرِيعَةُ تَقْتَضِي الْخِلَافَ لَمْ يَكُنْ فِي الرَّدِّ إِلَيْهَا فَائِدَةٌ. وَقَوْلُهُ: فِي شَيْءٍ نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ الشَّرْطِ، فَهِيَ صِيغَةٌ مِنْ صِيَغِ الْعُمُومِ. فَتَنْتَظِمُ كُلُّ تَنَازُعٍ عَلَى الْعُمُومِ، فَالرَّدُّ فِيهَا لَا يَكُونُ إِلَّا لِأَمْرٍ وَاحِدٍ فَلَا يَسَعُ أَنْ يَكُونَ أَهْلُ الْحَقِّ فِرَقًا. وَقَالَ تَعَالَى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾(٥)، وَهُوَ نَصٌّ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ، فَإِنَّ السَّبِيلَ الْوَاحِدَ لَا يَقْتَضِي الِافْتِرَاقَ، بِخِلَافِ السُّبُلِ الْمُخْتَلِفَةِ"(٦).

---

(١) سورة الشورى: آية ١١ .
(٢) سورة آل عمران: آية ١٠٣ .
(٣) سورة الأنفال: آية ٤٦ .
(٤) سورة النساء: آية ٥٩ .
(٥) سورة الأنعام: آية ١٥٣ .
(٦) الاعتصام، الشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، ٧٥٥/٢.

وإنه يتوجب على المؤسسة الأزهرية أن تُكثف محاضرات ومناهج العقيدة على طلاب الأزهر جامعًا وجامعة بأسلوب سهل مبسط حتى يمكنهم فهم هذه العقيدة الوسطية، وخاصة أننا نرى أن الكليات العلمية، لا يدرسون العقيدة إلا سنة واحدة فقط من خلال كتاب يُسمى العقيدة والأخلاق، جُمِعَ فيه بعض أمور العقيدة في جانب الإلهيات دون النبوات ولا السمعيات، وضم له جزء آخر تحت مسمى الأخلاق، ويكون مقررًا في الفرقة الأولى فقط، وهذا أمر في غاية الغرابة حيث تضم هذه الكليات بعض الشباب الذين لم يحصلوا نصيبًا كافيًا من العلم الشرعي أثناء مرحلة الدراسة التي تسبق الجامعة، وقد نرى منهم بعض المتشددين وهذا أمر لا ننكره، ونرى على النقيض البعض الذي يتبنى الفكر العلماني أو يردد كلامًا لبعض أشخاص سُخِروا للطعن في العقيدة وهُوية المسلمين، فنحن بحاجة مُلِحةٍ لوضع مقرر يكون مع الطلاب منذ الفرقة الأولى حتى تخرجهم، ومن الغرابة أيضًا أن قطاع اللغة العربية لا تُدرس فيه العقيدة أصلًا، علمًا بأن قسم الفلسفة قديمًا كان مقره اللغة العربية، وقطاع القانون بكليات الشريعة والقانون لا يدرس طلابه العقيدة، ويكون الاكتفاء فقط بدراسة العقيدة لطلاب الفرقة الثانية لقطاع الشريعة، ولما كان الأزهر قد تبنى عقيدة السادة الأشاعرة منذ القرون السالفة حتى الآن؛ لكونها توازن بين النقل والعقل بدون إفراط ولا تفريط، كانت الحاجة ماسة لوجود مقرر ثابت للعقيدة يُغذي عقول الطلاب سواءً أكانوا في الكليات العلمية أو الكليات النظرية ويحميهم من الانخراط في براثن الأفكار المخالفة للأزهر، وخاصة ونحن في ظل هذا الوقت العصيب الذي بدأ الإلحاد يظهر على الساحة ويتبناه بعض من يُشارُ إليهم بالفكر كما يُروجُ لهم، وعلى العكس أيضًا ظهور الجماعات المتشددة التي تنادي بتكفير الآخر، والعقيدة التي تبناها الأزهر على خلاف ذلك.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

أهم نتائج البحث

١ــ أن الغلو بمعنى مجاوزة الحد، والخروج عن الحق، وهو طريق ممهد للتكفير.

٢ــ أن الحكم بالتكفير لا يكون إلا بدليل صحيح، ولا يجوز الحكم على أهل القبلة بالخروج من الملة.

٣ــ أن مصطلح السلف يراد به أهل القرون الثلاثة المتقدمة المنصوص عليهم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤ــ أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد حكم على من سمى التوحيد اعتقادًا بالشرك.

٥ــ أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد قال بالتقسيم الثلاثي للتوحيد، وقد زعم أن المشركين كانوا أعرف بالله من كثير من المسلمين في زماننا.

٦ــ أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد نقل عن الشيخ ابن تيمية دون نسبة له.

٧ــ أن أول من قال بالتقسيم الثلاثي كان الشيخ ابن تيمية وتبعه ابن أبي العز الحنفي في شرحه لمتن الطحاوية للشيخ أبي جعفر الطحاوي.

٨ــ أن الشيخ الطحاوي صاحب الطحاوية لم يأتِ في متن الطحاوية بهذا التقسيم.

٩ــ أن الشيخ ابن تيمية قال بالتقسيم الثلاثي للتوحيد، وزعم أيضًا أن المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية.

١٠ــ أن الشيخ ابن تيمية قد وقع في تناقض؛ ففي موضع آخر نفى عن المشركين إقرارهم بالتوحيد أصلًا.

١١ــ أن الكل مجمع من السلف والخلف على أن التوحيد: هو إفراد الله بالعبادة دون غيره.

١٢ــ أن السادة أتباع المدرسة السلفية المعاصرة لم يردوا على الشيخ محمد بن عبدالوهاب في مسألة إقرار توحيد المشركين بل وافقوه على ذلك.

١٣ــ أن السادة الأشاعرة قد قسموا التوحيد على اعتبار ما نص عليه القرآن الكريم، واحد في ذاته، وفي أفعاله، وفي صفاته.

١٤ــ أن الآيات القرآنية على خلاف ما ذكره الشيخ ابن تيمية، والشيخ ابن أبي العز الحنفي، والشيخ محمد بن عبدالوهاب.

١٥ــ أن التحاكم في بيان معنى لفظ الرب، ولفظ الجلالة الله يكون للغة، ومن ذلك فإن لفظ الرب قد يأتي ويراد به اسم الجلالة الله، إلا إذا أريد به خلاف ذلك فيقرن بالشيء المراد، كرب البيت.

١٦ــ ترتب على هذا التقسيم الثلاثي ظهور نوع آخر يُسمى بتوحيد الحاكمية كقسم رابع من أقسام التوحيد، وهناك من ألف كتابًا يحمل هذا الاسم صراحة (توحيد الحاكمية).

١٧ــ أن العرب الذين كانوا في مكة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرفوا التوحيد أصلًا إلا بعض العرب من الذين كانوا يسمون بالحنفاء، وكانوا لا يعبدون الأصنام، ولا يأكلون من الذبائح التي كانت تقرب إلى الأوثان، ومن هؤلاء الحنفاء: زيد بن عمرو بن نُفيل.

١٨ــ ضرورة التعاون مع المملكة العربية السعودية للعمل من أجل تطوير مناهجها التعليمية، وعدم النظرة الأُحادية، وحصر المنهج الشرعي في فكر محدد بعينه.

١٩ــ ضرورة تبصير الشباب بمجالات التدين الصحيح، والدعوة إلى نبذ التعصبي المقيت الذي يجر التفسيق ثم ينتهي بالتكفير.

٢٠ــ ضرورة وجود مقرر للعقيدة يُدرس على طلاب الكليات العلمية والنظرية بجامعة الأزهر فترة سني دراستهم بالكليات وذلك من أجل تحصينهم من الأفكار المغلوطة، وتمسكهم بالمنهج الأزهري الوسطي.

٢١ــ العمل على توعية العاملين بالحقل الدعوي لمجابهة الأفكار المتشددة بمنطق الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وتصحيح الأفكار المغلوطة.

٢٢ــ العمل على تبيسط كتب العقيدة وبخاصة كتب التراث منها وشرحها بأسلوب يتوافق وطبيعة العصر الذي نعيش فيه.

٢٣ــ وجود مطويات صغيرة مبسطة أو دروس عبر صفحة الأزهر تقوم ببيان العقيدة الصحيحة للناس حتى لا ينخدع الشباب بمنطق المتشددين.

المراجع

أولًا المراجع العربية :

١-الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري، المحقق: د. فوقية حسين محمود، الناشر: دار الأنصار – القاهرة، الطبعة: الأولى، سنة ١٣٩٧هـ.

٢-أحكام القرآن، أبو بكر الجصاص، المحقق: محمد صادق القمحاوي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، سنة ١٤٠٥ هـ.

٣- أدب الطلب ومنتهى الأدب، الشوكاني، عبد الله يحيى السريحي، الناشر: دار ابن حزم – لبنان – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٤-الاعتصام، الشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، الناشر: دار ابن عفان، السعودية، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

٥- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، للحافظ الإمام أبي بكر بأحمد بن الحسين ابن علي بن موسى البيهقي، عَلّقَ عليه: الشيخ/ عبدالرزاق عفيفي، الشيخ/ عبدالرحمن بن صالح المحمود، تحقيق: أبو عبدالله أحمد بن إبراهيم أبو العينين، طبعة دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

٦- الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد لغزالي، مصطفى البابي الحلبي،سنة ١٩٦٦م.

٧- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني البصري، تحقيق الإمام: محمد زاهد الكوثري، الناشر المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٨- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٨ هـ.

٩- البارع في اللغة، القالي، المحقق: هشام الطعان، الناشر: مكتبة النهضة بغداد - دار الحضارة العربية - بيروت الطبعة: الأولى، سنة ١٩٧٥م.

١٠- البداية والنهاية، ابن كثير، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى، سنة ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م.

١١- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية، مجموعة من المحققين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، سنة ١٤٢٦هـ.

١٢- تبصير العقلاء بتلبيسات أهل التجهّم والإرجاء، عصام طاهر البرقاوي (أبي محمد عاصم المقدسي)، إصدارات غرفة الفجر الإسلامية، بدون تاريخ .

١٣- التحرير والتنوير، «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الطاهر بن عاشور، الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

١٤- تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، إبراهيم بن محمد الباجوري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٥- التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، ابن تيمية، المحقق: د. محمد بن عودة السعوي، الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة: السادسة، سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

١٦- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

١٧- التفسير الكبير، فخر الدين الرازي = مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، سنة ١٤٢٠ هـ.
١٨- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر،الطبعة: الأولى، سنة ١٣٦٥ هـ.
١٩- التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية، الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩ م.
٢٠- توحيد الاتّباع اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أوامره ونواهيه، د. محمد الأمين بن مزيد الموريتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
٢١- التوسل أنواعه وأحكامه، الألباني، المحقق: محمد عيد العباسي، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض الطبعة: الطبعة الأولى، سنة ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
٢٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.
٢٣- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م، ١٤٨/١١.
٢٤- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
٢٥- حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، بكر أبو زيد، الطبعة الثالثة، دار ابن الجوزي، السعودية، سنة ١٤١٣ هـ.

٢٦- الدروس المهمة لعامة الأمة، عبدالعزيز بن باز، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء – الرياض، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣م.

٢٧- الرياض الندية على شرح العقيدة الطحاوية، تأليف الإمام القاضي على بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، تعليق: الدكتور/ عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله الجبرين، خرج أحاديثه وعلق عليه وأعده للنشر الدكتور/ طارق بن محمد بن عبدالله الخويطر، طبعة دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، سنة ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م

٢٨- الشامل في أصول الدين، إمام الحرمين عبدالملك الجويني ت ٤٧٨ هـ، تحقيق: أ.د/ علي سامي النشار، فيصل بدير عُون، سهير محمد مختار، النشار: منشأة المعارف، الأسكندرية، سنة ١٩٦٩.

٢٩- شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الناشر: دار الثريا للنشر، الطبعة: الرابعة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.

٣٠- شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: مجموعة من العلماء، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة: الطبعة المصرية الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٣١- شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: السادسة، ١٤٢١ هـ.

٣٢- شرح نظم العقيدة النورية في التوحيد، الحسين بن محمد الورثيلاني، المحقق: البشير برمان، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٣٣- العقيدة الطحاوية أبو جعفر الطحاوي، الناشر: دار ابن حزم، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، سنة النشر: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

٣٤- الصفدية، ابن تيمية، المحقق : محمد رشاد سالم، الناشر : مكتبة ابن تيمية، مصر، الطبعة : الثانية، سنة ١٤٠٦هـ.

٣٥- عقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائري، طبعة مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.

٣٦- فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد، حامد بن محمد بن حسين بن محسن، المحقق: بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار المؤيد، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ -١٩٩٦م.

٣٧- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية، حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق، سنة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٣٨- الفِصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ.

٣٩- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، سنة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٤٠- كشف الشبهات، محمد بن عبدالوهاب، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٨هـ.

٤١- كيف نفهم التوحيد، محمد بن أحمد باشميل، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ.

٤٢- اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسِطية لابن تيمية، شرح الشيخ: صالح بن عبدالعزيز محمد بن إبراهيم آل الشيخ، تحقيق: عادل بن محمد مرسي رفاعي، طبعة دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

٤٣- لسان العرب، ابن منظور، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة، سنة ١٤١٤ هـ
٤٤- متن العقيدة الطحاوية، أبو جعفر الطحاوي، الناشر: دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، سنة النشر: ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.
٤٥- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ -١٩٩٥م.
٤٦- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر : دار الوطن – دار الثريا، الطبعة : الأخيرة، سنة ١٤١٣ هـ.
٤٧- المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة، د. إبراهيم بن محمد البريكان، طبعة مكتبة دار ابن القيم، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.
٤٨- مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي دراسة نقدية في ضوء الإسلام، د. عبدالرحمن بن زيد الزبيدي، طبعة مكتبة المؤيد، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٢ هـ -١٩٩٢ م.
٤٩- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.
٥٠- معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، سنة ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.
٥١- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، سنة، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٥٢- المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية)، د. جميل صليبا، الناشر: الشركة العالمية للكتاب – بيروت، تاريخ الطبع: ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م .
٥٣- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٢هـ.
٥٤- مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري إمام أهل السنة، محمد بن الحسن بن فورك ت ٤٠٦ هـ، تحقيق: أ.د/ أحمد عبدالرحيم السايح، طبعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
٥٥- مناهج البحث الفلسفي، د. محمود زيدان، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية، القاهرة، سنة ١٩٧٧م.
٥٦- هي السلفية نسبة وعقيدة ومنهجًا، محمد إبراهيم شقرة، طبعة عمان، الأردن، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
٥٧- الوسيط في شرح أول رسالة في مجموعة التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب وهي رسالة في التوحيد والشرك والكفر والنفاق، علي بن خضير الخضير،بدون دار نشر، طبعة ١٤٢١ هـ.

ثانيًا: المراجع الأجنبية :

(1) Meijer, Roel (2009). "Introduction". In Meijer, Roel. Global Salafism: Islam's New Religious Movement. Columbia University Presss. p.34 ،Haykel, Bernard (2009). "Chapter 1: On the Nature of Salafi Thought and Action". In Meijer, Roel. Global Salafism: Islam's New Religious Movement. Columbia University Press. p. 34. ISBN 978-0-231-15420-8.